الإشكالية المعاصرة في

تربية الطفل المسلم

بقلم

سعيد عبد العظيم

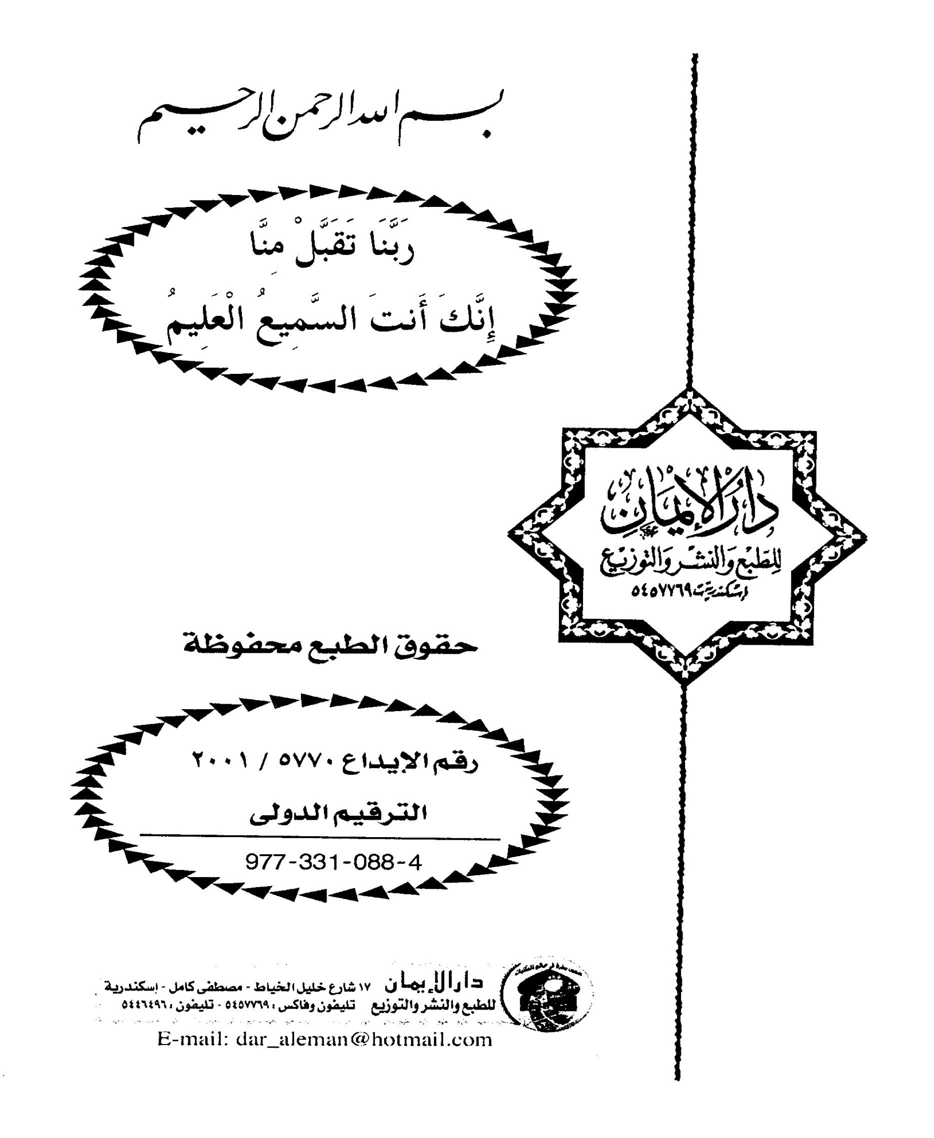
غفر الله له ولوالديه ولجميع المسلمين

دار القمة
لتوزيع الكتاب والشريط والسي دي
تليفون وفاكس: ٥٤٥٧٧٦٩ ت: ٥٤٤٦٤٩٦

دار الإيمان
للطبع والنشر والتوزيع
إسكندرية ت ٥٤٥٧٧٦٩

بسم الله الرحمن الرحيم

الإشكالية المعاصرة في
تربية الطفل المسلم



بسم الله الرحمن الرحيم

رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا

إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ

دار الإيمان
للطبع والنشر والتوزيع
إسكندرية ت ٥٤٥٧٧٦٩

رقم الايداع ٥٧٧٠ / ٢٠٠١

الترقيم الدولى

977-331-088-4

دار الإيمان للطبع والنشر والتوزيع ١٧ شارع خليل الخياط - مصطفى كامل - إسكندرية
تليفون وفاكس ٥٤٥٧٧٦٩ - تليفون ٥٤٤٦٤٩٦

E-mail: dar_aleman@hotmail.com

تقديم :

إن الحمد لله ، نحمده ونستعينه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادى له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله .

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ (١٠٢) ﴾ [آل عمران : ١٠٢] .

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا (١) ﴾ [النساء : ١] .

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيدًا (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا (٧١) ﴾ [الأحزاب : ٧٠ ، ٧١] .

أما بعد :

فإن أصدق الحديث كتاب الله ، وأحسن الهدي هدي محمد ﷺ ، وشر الأمور محدثاتها ، وكل محدثة بدعة ، وكل بدعة ضلالة ، وكل ضلالة فى النار .

ما أكثر الإشكالات التى خلّفها وولّدها الانحراف عن دين الله فى شتى مجالات الحياة ، ومن بينها هذا الجانب الهام الذى يتعلق بالطفولة ، فهى لم تسلم فى عهود الغربة والتغريب من هذه اللوثة المادية المعاصرة ، وإذا كانت الصيحات تتعالى من هنا وهناك بأهمية التركيز على مرحلة الطفولة والاعتناء بها ، فهم قادة الغد وجنود المستقبل .

وإذا كنا ننشد الرجوع بأنفسنا وأمتنا لكتاب الله وسُنة رسول الله ﷺ ، فعلينا أن نُعِدَّ أولادنا لحمل مسئولية هذا الدين وتسلُّم الأمانة وتبليغ الرسالة

وتعمير الدنيا بدين الله وإقامة حضارة على منهاج النبوة حتى يصلوا الأمسَ بالغد بإذن الله ، وهكذا تتواصل الحلقات فلا ينتهى جيل الآباء وقد سلَّم الزمان الراية بأمانة وإتقان لجيل الأبناء ، وهذا يتطلب منا معرفةً بحجم العوائق والإشكالات التى تعترض طريق البناء ، كما يتطلب من قبل ومن بعد إستعانةً بخالق الأرض والسموات .

وهذا أوان الشروع فى المقصود ، والله المستعان وعليه التُكلان ولا حول ولا قوة إلا بالله .

الشيخ / سعيد عبد العظيم
غفر الله له ولوالديه وللمسلمين



أمنيتي لأولادي

نتمنى لأولادنا السعادة فى الدنيا والنجاة فى الآخرة ، ولم لا فمعانى الحب والشفقة التى امتلأت بها قلوب الآباء والأمهات ، تجاه الأبناء – فلذات أكبادهم – وما أودعه ربنا جل وعلا فى قلوب عباده من الرحمة تأبى إلا ذلك.

روى البخارى عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : « دخلنا مع رسول الله ﷺ على أبى يوسف القين [١] ، وكان ظئراً [٢] لإبراهيم فأخذ رسول الله ﷺ إبراهيم ولده وقبّله وشمّه ثم دخلنا عليه بعد ذلك وإبراهيم يجود بنفسه فجعلت عينا رسول الله ﷺ تذرفان ، فقال له عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه : وأنت يارسول الله ؟ فقال ﷺ : « **يا ابن عوف إنها الرحمة ، ثم قال : إن العين تدمع والقلب يحزن ، ولا نقول إلا ما يرضى ربنا ، وإنا بفراقك يا إبراهيم لمحزونون** » [٣] .

والراحمون يرحمهم الرحمن ، ولا تُنزع الرحمة إلا من شقيٍ ، ولذلك دخلت بغيٌّ من بنى إسرائيل الجنة فى كلب سقته ، وعلى العكس عُذِّبت امرأة فى هرة حبستها حتى ماتت ، فدخلت فيها النار ، وقيل لها : « **لا أنت أطعمتها ولا سقيتها حين حبستها ، ولا أنت أرسلتها فأكلت من خَشَاشَ الأرض** » رواه البخارى [٤] .

فإذا كانت الرحمة مطلوبة مع الحيوانات والبهائم ، فكيف يكون الأمر مع الأبناء وأولاد الناس .

وروى البخارى عن أبى قتادة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « **إنى لأدخل**

(١) القين : الحداد .
(٢) الظئر : المرضع ، فالمعنى أنه أبوه من الرضاع ، والله أعلم .
(٣) البخارى (١٢٢٠) كتاب الجنائز .
(٤) البخارى (٢١٩٢) المساقاة .

في الصلاة فأريد إطالتها فأسمع بكاء الصبى فأتجوز (فأخفف) مما أعلم من شدة وَجْد [١] **أمه من بكائه »** [٢] .

وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال : قُدِمَ على رسول الله ﷺ بسبي ، فإذا أمرأة من السبي تسعى إذ وجدت صبياً في السبي أخذته فألزقته ببطنها فأرضعته فقال رسول الله ﷺ : « **أترون هذه المرأة طارحةً ولدها في النار ؟!** »، قلنا : لا والله ، **فقال** : « **الله أرحم بعباده من هذه بولدها** » [٣] .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « **جعل الله الرحمة مائة جزء فأمسك عنده تسعة وتسعين ، وأنزل في الأرض جزءاً واحداً ، فمن ذلك الجزء يتراحم الخلائق حتى ترفع الدابة حافرها عن ولدها خشية أن تصيبه** » [٤] .

وكان النبى ﷺ يقبل الحسن أو الحسين فدخل عليه رجل فقال له : إن لي عشرة من الولد ما قبلت واحداً منهم ، فقال له النبى ﷺ : « **وماذا أصنع إن كان الله قد نزع الرحمة من قلبك** » [٥] ، فمن لا يرحم لا يرحم ، والجزاء من جنس العمل .

وعن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال : « كنت مع رسول الله ﷺ في حجة الوداع ، فمرضت مرضاً أشفيت (أوشكت) منه على الموت ، فعادني رسول الله ﷺ فقلت: يا رسول الله إن لي مالاً كثير ، وليس يرثني إلا ابنة لي ، أفأوصي بثلثي مالي؟ ، **قال**: لا . قال : قلت : بشطر مالي ؟ **قال** : لا . قلت : فثلث مالي ؟ **قال** : **الثلث ، والثلث كثير ، إنك يا سعد أن تدع ورثتك**

---

(١) وَجْد : حب ولهف .
(٢) البخاري (٦٦٦) الأذان .
(٣) البخاري (٥٥٤٠) الأدب ، مسلم (٤٩٤٧) التوبة .
(٤) البخاري (٥٥٤١) الأدب ، مسلم (٤٩٤٢) التوبة .
(٥) مسلم (٤٢٨١) الفضائل .

أغنياء خير لك من أن تدعهم عالة يتكففون الناس ، إنك يا سعد لن تنفق نفقة تبتغي بها وجه الله تعالى إلا أُجرت عليها ، حتى اللقمة تجعلها فى فيِّ امرأتك » متفق عليه [(١)] .

بل محبة الخير للأبناء تدخل دخولاً أولياً ضمن قول النبى ﷺ : « **لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه** » متفق عليه [(٢)] .

فإذا كنا ننشد سعادة الدارين فعلينا أن نوطن أنفسنا على محبة ذلك للآخرين ومن باب أولى وأحرى أن نتمنى ذلك لأولادنا ، وهذا من مقتضيات الإيمان .

الأدب أدب الله لا أدب الآباء والأمهات :

قد يشذ الابن عن والديه ، فيكونا صالحين تقيين ، ويكون هو فاسداً كحالة كنعان بن نوح ، فقد كان كافراً ولم يكن نبى الله نوح عليه السلام يعلم بذلك ، قال تعالى : ﴿ وَنَادَىٰ نُوحٌ رَّبَّهُ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ (٤٥) قَالَ يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلا تَسْأَلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ (٤٦) قَالَ رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَإِلاَّ تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي أَكُن مِّنَ الْخَاسِرِينَ (٤٧) ﴾ [هود : ٤٥ – ٤٧] .

قال العلماء ظنه مؤمناً ولذلك قال : ﴿ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي ﴾ الذين وعدتهم أن تنجيهم من الغرق ، إذ مُحال أن يسأل نوح هلاك الكفار ، ثم يسأل فى إنجاء بعضهم وكأنّه كان يُسرّ الكفر ويظهر الإيمان ، فأخبر الله تعالى نوحاً بما هو منفرد به من علم الغيوب ، أى علمت من حال ابنك ما لم تعلمه أنت .

وقال الحسن : كان منافقاً ، ولذلك استحل نوح أن يناديه ، وعنه أيضاً :

---

(١) البخارى (٢٥٣٧) الوصايا ، مسلم (٣٠٧٦) الوصية .
(٢) البخارى (١٢) الإيمان ، مسلم (٦٤) كتاب الإيمان .

كان ابن امرأته ، وقال ابن عباس – رضى الله عنهما – : ما بغت (ما زنت) امرأة نبى قط ، وأنه كان ابنه لصلبه ، وكذلك قال الضحاك وعكرمة وسعيد بن جبير وميمون بن مهران وغيرهم ، وأنه كان ابنه لصلبه، وقيل لسعيد بن جبير : يقول نوح ﴿ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي ﴾ أكان ابنه ؟ فسبّح الله طويلاً ثم قال : لا إله إلا الله ! يحدث الله محمداً ﷺ أنه ابنه ، وتقول : إنه ليس ابنه ! نعم كان ابنه ، ولكن كان مخالفاً فى النية والعمل والدين ولهذا قال الله تعالى : ﴿ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ ﴾ وهذا هو الصحيح ، وأن قوله : ﴿ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ ﴾ ليس مما ينفى عنه أنه ابنه .

وقوله تعالى : ﴿ فَخَانَتَاهُمَا ﴾ [التحريم : ١٠] يعنى فى الدين لا فى الفراش ، وذلك أن هذه كانت تخبر الناس أنه مجنون ، وذلك أنها قالت له : أما ينصرك ربك ؟ فقال لها : نعم . قالت : فمتى ؟ قال : إذا فار التنور ، فخرجت تقول لقومها : يا قوم والله إنه لمجنون ، يزعم أنه لا ينصره الله إلا أن يفور هذا التنور ، فهذه خيانتها ، وخيانة امرأة لوط أنها كانت تدل قومها على الأضياف ، وكان القوم يأتون الفاحشة ما سبقهم بها من أحد من العالمين ، وهى فاحشة اللواط .

قال العلماء : فى هذه الآية تسلية للخلق فى فساد أبناءهم وإن كانوا صالحين، وروى أن ابناً لمالك بن أنس نزل من فوق ومعه حمام قد غطاه، قال : فعلم مالك أنه قد فهمه الناس ، فقال مالك : الأدب أدب الله لا أدب الآباء والأمهات ، والخير خير الله لا خير الآباء والأمهات ، وفيها أيضاً دليل كما قال القرطبى على أن الابن من الأهل لغة وشرعاً ، ومن أهل البيت .

الوالد لا يحسد ولده :

هذا المعنى يدل عليه قوله سبحانه فى سورة يوسف عليه السلام : ﴿ قَالَ يَا بُنَيَّ لا تَقْصُصْ رُءْيَاكَ عَلَىٰ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلإِنسَانِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ۝ وَكَذَٰلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأْوِيلِ الأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ

وَعَلَىٰ آلِ يَعْقُوبَ كَمَا أَتَمَّهَا عَلَىٰ أَبَوَيْكَ مِن قَبْلُ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (٦) ﴾ [يوسف : ٥ ، ٦] .

قال ابن كثير –رحمه الله –: « يقول تعالى مخبراً عن قول يعقوب لابنه يوسف حين قص عليه ما رأى من هذه الرؤيا التى تعبيرها خضوع إخوته له وتعظيمهم إياه تعظيماً زائداً بحيث يخرون له ساجدين[١] إجلالاً وإحتراماً وإكراماً ، فخشى يعقوب عليه السلام أن يُحدث بهذا المنام أحداً من إخوته فيحسدونه على ذلك فيبغون له الغوائل حسداً منهم له ، ولهذا قال له : ﴿ قَالَ يَا بُنَيَّ لا تَقْصُصْ رُءْيَاكَ عَلَىٰ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا ﴾ أى يحتالوا لك حيلة يردونك فيها أ . هـ .

قال الرازى فى [التفسير الكبير] المسألة الثانية : أن يعقوب عليه السلام كان شديد الحب ليوسف وأخيه فحسده إخوته لهذا السبب وظهر ذلك المعنى ليعقوب عليه السلام بالأمارات الكثيرة فلما ذكر يوسف عليه السلام هذه الرؤيا وكان تأويلها أن إخوته وأبويه يخضعون له فقال : لا تخبرهم برؤياك فإنهم يعرفون تأويلها فيكيدوا لك كيداً . أ هـ .

وقال القرطبى : « هذه الآية أصل فى ألا تقص الرؤيا على غير شفيق ولا ناصح ولا على من لا يحسن التأويل فيها ... وفى هذه الآية دليل على أن مباحاً أن يحذر المسلم أخاه المسلم ممن يخافه ولا يكون داخلاً فى معنى الغيبة لأن يعقوب عليه السلام قد حذّر يوسف أن يقص رؤياه على إخوته فيكيدوا له كيداً ، وفيها أيضاً ما يدل على جواز ترك إظهار النعمة عند مَن تُخشى غائلته حسداً وكيداً ، وقال النبى ﷺ : « **استعينوا على إنجاح حوائجكم بالكتمان فإن كل ذى نعمة محسود** » ، وفيه أيضاً دليل واضح على معرفته عليه السلام بتأويل الرؤيا ، فإنه علم من تأويلها أنه سيظهر عليهم ، ولم يبال بذلك من نفسه ، فإن الرجل

---

(١) هذا السجود كهيئة الركوع ، كان مشروعاً عندهم ثم أصبح ممنوعاً فى شرعنا .

يود أن يكون ولده خيراً منه ، والأخ لا يود ذلك لأخيه ، ويدل أيضاً على أن يعقوب عليه السلام كان أحسَّ من بنيه حسد يوسف وبغضه ، فنهاه عن قصص الرؤيا عليهم خوف أن يغل بذلك صدورهم ، فيعملوا الحيلة فى هلاكه ، هذا ومن فعلهم بيوسف يدل على أنهم كانوا غير أنبياء فى ذلك الوقت» أ . هـ .

إن الفارق كبير بين موقف نبى الله يعقوب مع ابنه يوسف وبين موقف إخوته معه ، وتأمل قول القرطبى : فإن الرجل يود أن يكون ولده خيراً منه ، والآخ لا يود ذلك لأخيه .

يقول سيد قطب – رحمه الله – فى [الظلال] : ولهذا نصحه بألا يقص رؤياه على إخوته خشية أن يستشعروا ما وراءها لأخيهم الصغير غير الشقيق ، فيجد الشيطان من هذا ثغرةً فى نفوسهم ، فتمتلئ نفوسهم بالحقد ، فيدبروا له أمراً يسؤوه ﴿ **قَالَ يَا بُنَيَّ لا تَقْصُصْ رُءْيَاكَ عَلَىٰ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا** ﴾ ثم علل هذا بقوله : ﴿ **إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلإِنسَانِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ (٥)** ﴾ [يوسف : ٥] ، ومن ثَم فهو يوغر صدور الناس بعضهم على بعض ويزين لهم الخطيئة والشر ، ويعقوب ابن إسحاق بن إبراهيم ، وقد أحس من رؤيا ابنه يوسف أن سيكون له شأن ، يتجه خاطره إلى أن هذا الشأن فى وادى الدين والصلاح والمعرفة ، بحكم جو النبوة الذى يعيش فيه ، وما يعلمه من أن جده إبراهيم مبارك من الله هو وأهل بيته المؤمنون ، فتوضح أن يكون يوسف هو الذى يختار من أبنائه من نسل إبراهيم لتحل عليه البركة وتتمثل فيه السلسلة المباركة فى بيت إبراهيم فقال له : ﴿ **وَكَذَٰلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأْوِيلِ الأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَعَلَىٰ آلِ يَعْقُوبَ كَمَا أَتَمَّهَا عَلَىٰ أَبَوَيْكَ مِن قَبْلُ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (٦)** ﴾ [يوسف : ٦] .

الطغيان المادي وأثره في إفساد الناشئة

ولا يُمسك الإيمان فى القلب إلا الذى ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ أَن تَزُولا وَلَئِن زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ ﴾ [فاطر : ٤١] ، ولا يمارى أحد من الناس فى تباعد الدنيا بصفة عامة والمسلمين بصفة خاصة عن دين الله ، فالبون شاسع والفارق كبير بين ما كان عليه سلفنا الصالح من إستقامة وعز ونصر وتمكين ، وما عليه المسلمون اليوم من انحراف وذل ومهانة وفشل وضياع .

لقد تبدل الحال وتغير ﴿ وَمَا رَبُّكَ بِظَلاَّمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴾ [فصلت : ٤٦] ، ﴿ إِنَّ اللَّهَ لا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ ﴾ [الرعد : ١١] .

بدأنا نعتد أن إتباع الرسول ﷺ رجعية ، والعمل بسنته تزمت ، وانقلبت الأوضاع ، فكيف يرجى حسن العاقبة فى الآخرة ، ومسيرنا فى الدنيا ظاهر معلوم ؟! بل أصبحنا نقر بكل معصية ، ونشق الطريق لكل منكر ، ونرى من يدعو إلى الكفر بعين ملؤها غبطة ، والمعترض رجعياً وممن يستحقون الطرد والحبس لأنه يعوق المجتمع عن التقدم ويحول دون طريقه إلى النهضة والمدنية !! إذا كان الله لا يأخذنا بعذاب يفاجئنا ونقمة تقضى علينا جميعاً بفضل الله علينا ودعاء نبيه ﷺ لهذه الأمة ، أن لا يعمها الله بعذاب ولا يستأصل شأفتها وذلك لأن هذه الأمة تحمل الأمانة الأخيرة ، ولأنها أمل الإنسانية الأخير وما أعظم الفرق بين أمسنا ويومنا ، وما أعظم الفرق بين الإسلام كدين والمسلمين كواقع .

لقد انفصلت بعض الساعات عن بعض ، وبعض العادات عن بعض ، وتباعدت الدنيا عن الآخرة ، والأرض عن السماء ، وأصبح الدين فى واد والدولة فى واد ثان، وحروب الإسلام بيد أبنائه بعد أن كان يحارب بيد أعدائه ، فاستبدلوا شرع الله بنظم وضيعة وقوانين طاغوتيه كفرية ، وأطلت البدع

والشركيات برأسها ، بل لا نغالى إذا قلنا حورب الإسلام باسم الإسلام ، وبالجملة فقد أصبح الإسلام غريباً وسط أهله وبنيه وكأنه ينادى المسلمين من مكان بعيد ، من يوم بدر وأُحد ، ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا ﴾ [آل عمران : ١٤٤] .

وقد أخبر النبى ﷺ بغربة الإسلام فى قوله ﷺ : « **بدأ الإسلام غريباً وسيعود كما بدأ ، فطوبى للغرباء** » رواه مسلم وغيره [١] ، هذه الغربة الشديدة كافية فى تدمير العقول وتلويث الفطَر وتخريب القلوب ، ولذلك لا نستغرب إذا أثرت فى الكبار وأفسدت الناشئة فهذا الطغيان المادى يمثل أكبر العقبات فى طريق الصلاح ، كما أنه بمثابة إشكالية ضخمة فى طريق إيجاد الجيل المسلم والإهتمام بالناشئة ، وإليك بعض صور الطغيان الموجود فى المجتمع ، والتى من شأنها أن توثر فى الطفل :

بيوت آيلة للإنهيار :

هذه البيوت لم تبدأ حياتها بطاعة ربها ولم تستقم على شرعه سبحانه ، لا فى فرحها ولا فى حزنها ، وقد ضربت فيها معاول الهدم ومصادر التخريب فى الوقت الذى لم تقم فيه على أساس متين من كتاب الله وسُنة رسوله ﷺ ، ومن المعلوم أن فساد الانتهاء من فساد الابتداء ، وأن العبد إذا فسدت بدايته فسدت نهايته ، وإذا فسدت نهايته فربما هلك ، وهل تأمن إذا إنهار البنيان ، أن يهلك كل من فيه من الرجال والنساء والكبار والصغار .

إن أخطاراً عظيمة تهدد بيوتنا وتؤثر بالتبعية فى أطفالنا ، ومن جملة هذه الأخطار :

---

(١) رواه مسلم (٢٠٨) كتاب الإيمان .

الإختلاط : الإختلاط الذى يحدث بين النساء والرجال ممن ليسوا بمحارم وسهولة دخول البيوت تولد المفاسد الشرعية ، وقد حذر النبى ﷺ من دخول الأقارب غير المحارم على المرأة فى البيت عند غياب زوجها فقال ﷺ : « **إياكم والدخول على النساء فقال رجل من الأنصار : يارسول الله أفرأيت الحمو ، قال : الحمو الموت** » رواه البخارى ومسلم (١) .

والحمو هو ابن العم وابن الخال وأخو الزوج وما شابه ذلك ، ودخوله على الزوجة فى غياب الزوج معادل للموت ، لما ينجر بسببه من شر وفساد ، فكيف بدخول الجار وصديق العائلة ، ولذلك لا نستغرب إذا كثرت الفواحش والجرائم وتخربت البيوت وضاع الأطفال بسبب ذلك ، فمعظم النار من مستصغر الشرر، وفى الحديث : « **ما خلا رجل بامرأة إلا كان الشيطان ثالثهما** » (٢) .

وصح عنه ﷺ أنه قال : « **لا يخلون رجل بامرأة** » (٣) ، وهذا يشمل أتقى الناس وأفجر الناس ، فالشريعة لا تستثنى من كل هذه النصوص أحداً ، والبيوت لا تخلو من زيارات عائلية ، يشارك فيها الرجال والنساء ، حيث تبدو الزينات وتتكشف العورات وتتعالى الضحكات ويظهر التظاهر بقوة الشخصية ، وبعد الرجوع للبيت يتم تصفية الحسابات ومقارنة الأزواج فكيف يستقيم الحال ؟! .

وقد نسينا قول ربنا جلا وعلا : ﴿ **وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَاسْأَلُوهُنَّ مِن وَرَاءِ حِجَابٍ ذَٰلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ** ﴾ [الأحزاب : ٥٣] .

وقال سبحانه : ﴿ **وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ** ﴾ [النور : ٣١] .

وقد أدى خروج المرأة إلى العمل وتخلى ربة الأسرة عن واجباتها إلى حرمان الطفل من حنان أمه وتشويه لغته ، ونقل معتقدات خربة إلى الأطفال

---

(١) البخارى (٤٨٣١) النكاح ، مسلم (٤٠٣٧) السلام .
(٢) الترمذى (١٠٩١) .
(٣) البخارى (٢٧٨٤) .

عن طريق الخادمات ، هذا بالإضافة للإغواء والإغراء الذى يحدث والإرهاق المالى الذى يحصل لبعض أرباب الأسر ، وهكذا نوجد المشاكل بأنفسنا ثم نلتمس لها حلاً .

وقد كان التليفون (الهاتف) سبباً فى تدمير البيوت بسبب سهولة استخدامه وأنه منفذ مباشر من خارج البيت إلى داخله مما يسبب ضياع الأوقات وخصوصاً بين النساء وتعرف المرأة بالرجال وإفساد المرأة على زوجها ، ولذلك فالأمر يحتاج إلى متابعة ووعظ وحكمة فى الرد ، والكثير من البيوت لا تخلو من منكرات عديدة كشرب الخمر ولعب الميسر وإضاعة الأوقات فى اللهو المحرم ، وتربية الأولاد على السب والشتم ، وشرب الدخان والمخدرات ، ويتواجد فيها التصاوير ، ورموز الأديان الباطلة كآلهة الحب والكنائس والتصاليب والكلاب .. وقد ورد النهى عن ذلك كله مثل: « **إياكم واقتناء الكلاب فى البيوت** » ، وقد بيّن النبى ﷺ نقصان الأجر الذى يحدث بسبب ذلك وقال : « **إلا كلب الصيد أو كلب حرث أو كلب غنم** » (١) ، ثم هو ﷺ لم يترك تصليباً إلا نقضه وقال : «**كل مصور فى النار يجعل له بكل صورة صورها نفس فتعذبه فى جهنم** » ، وقال : « **إن كنت لابد فاعلاً فاصنع الشجر وما لا نفس له** » رواه مسلم (٢) ، ويستثنى من حرمة التصوير ما له مصلحه راجحة كالبطاقات والتصوير للطب ولعب الأطفال .

ولك أن تتخيل بعد ذلك مدى الفساد الذى ينشأ عندما يقع سمع وبصر الطفل وسائر حواسه على هذه المنكرات أو بعضها .

خطورة التليفزيون :

التليفزيون هو ذلك الجهاز الذى يقبع أمامه الصغير والكبير والرجل والمرأة

---

(١) البخارى (٢١٥٤) المزارعة .
(٢) رواه مسلم (٣٩٤٥) .

معظم ساعات الليل والنهار، وقد ذكر البعض عن الإعلام أنه ليس فقط يؤثر فى الرأى العام ، بل هو يخلق الرأى العام ، للدلالة على خطورة تأثيره ، إذ السلوك مرآة الفكر، وإذا تخرّب العقل وفسدت الفِطرة، فلا تستبعد حدوث الشر والدمار.

فمن أخطار التليفزيون :

إظهار شعائر الكفر ، والحلف بغير الله ، والتلاعب والإستهزاء بآياته سبحانه ونشر الدجل والخرافة وتوقير ممثلى الأديان الباطلة ، والتشكيك فى قدرة الله ، والقضاء على مفهوم الـولاء والبراء ، وتمييع معنى الحب فى الله والبغض فى الله ، والدعوة إلى الجريمة ، والإعجاب والتشبه بالكفرة وتعليم فنون السرقة والتزوير والإحتيال وتشبه النساء بالرجال وتشبه الرجال بالنساء ، وأصبحت الراقصة والمغنى هما القدوة ، وأشاع الكسل والخمول وقطع الأرحام .

وكان التليفزيون سبباً فى نشوء الخلافات الزوجية وذهاب الغيرة والتأثر بالدعوة إلى تحلل المرأة من دينها باسم تحرير المرأة كما أنه بمثابة إلى إثارة الشهوات وإظهار العورات وإقامة العلاقات بين الجنسين مما يسبب الوقوع فى الزنا والفاحشة ، كما علّم النساء أنواع الرقص واكتسب الناس من ورائه الشخصية الهزلية « الكوميدية » والألفاظ البذيئة ، كما كان سبباً فى تضييع صلاة الفجر والتأخر عن الصلوات وبعض الشعائر ، فترى الضجر من البعض إذا قطع وسط الفيلم أو المباراة لإذاعة الأذان ، وأصبح أداة للطعن فى بعض أحكام الشريعة كالحجاب واللحية ، وتشويه التاريخ الإسلامى وتحريف الحقائق التاريخية ، وانصراف الناس عن تلاوة القرآن وذكر الله وصلاة التراويح فى رمضان بسبب التسالى والفوازير وشهر زاد والرقصات مما يترتب عليه إنقاص أجر الصائمين ، وقد ساعد هذا الجهاز على إظهار الظالم على أنه مظلوم ، وأن اليهود أصحاب قضية عادلة !!! ، وقلل من شأن أبطال الإسلام ، ناهيك عن فسق الممثلين والمشاهد الغرامية وحالة الميوعة التى يبثها فى أبناء الأمة ،

والهزيمة النفسية بإظهار تطور وتقدم الكفار وتوليد العنف والطبع العدوانى وإشاعة الخوف فى النفوس ، بحيث يهب الصغير من نومه مذعوراً ، وترتب عليه إفساد واقعية الأطفال والإضرار بالعقل والذكاء وإضعاف حاسة البصر وسرعة ضربات القلب والسهر المضر بالصحة وتقليد الأطفال للسوبرمان وسلاحف النينجا وغيرها ... .

جاء فى فتوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء والدعوة بشأن التليفزيون ما يلى : « ... وأما التليفزيون فآلة لا يتعلق بها فى نفسها حكم ، وإنما يتعلق الحكم باستعمالها ، فإن استعملت فى محرم كالغناء الماجن وإظهار صور فاتنة وتهريج وكذب وافتراء وإلحاد وقلب للحقائق وإثارة الفتن إلى أمثال ذلك ، فذلك حرام ، وإن استعمل فى الخير كقراءة القرآن وإبانة الحق والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر إلى أمثال ذلك فذلك جائز ، وإن استعمل فيهما فالحكم التحريم إن تساوى الأمران أو غلب جانب الشر فيه » .

إن هذه المضار والمفاسد التى ذكرناها عن التليفزيون لم يشعر بها أو يتخوف منها المسلمون فقط على أنفسهم وأطفالهم ، بل تخوف منها غيرهم ، كهذا الممثل الأمريكى « بطل الفك المفترس » الذى أعلن أنه تخلص من التليفزيون حرصاً منه على أولاده الثلاثة لما رأى إدمانهم لحلقات العنف والجنس ، فهل يُتهم مثل هذا الممثل بالتطرف والإرهاب أو بالخبل والجنون أو الرجعية والتخلف والتزمت .. وغيرها من نعوت التنقص الموجودة فى قاموس الإلحاد ، وهل حرصنا على أطفالنا كمسلمين يقل عن حرصه على أولاده ؟!! .

اللهم أبرم لهذه الأمة أمرِ رشد ، يُعز فيه أهل طاعتِك ، ويُذل فيه أهل معصيتك ويؤمر فيه بالمعروف وينهى فيه عن المنكر .

❀ ❀ ❀

نصيحة تحتاج إلي نصيحة وشفقة تنقصها الشفقة

لا يدخر الآباء وسعاً فى القيام على مصالح أبنائهم المادية ، من طعام وشراب وملبس ومسكن ، بل والتدرج معهم فى المراحل التعليمية إبتداءً من الحضانة حتى الجامعة ، وقد يسلكونهم سلك التعليم الأجنبى بحسب الأوضاع الاجتماعية ويسر الحال ، ويرون بعد ذلك أنهم قد أدوا كل ما عليهم من واجب وما على الواحد منهم إلا أن يموت قرير العين !! ، ومن عجيب الأمر أن الوالد لا يمل أبداً من نصح ابنه بالمذاكرة وإتقانها حتى يتفوق فى دراسته وينفع نفسه بينما هو لا يكلف نفسه أن ينصحه مرة بالمحافظة على الصلاة أو تلاوة القرآن أو غض بصره عن الحرام ، لم يفتح عليه بكلمة الحمد والشهادة ، ولم يعوده الأخلاق والآداب الإسلامية ، بل أسلم أولاده للتليفزيون وغيره ولم يسع فى أن يكون قدوة صالحة لهم ، وإذا قيل له فى ذلك كان جوابه : كل إنسان معلق من عرقوبه ، وكأنه لم يقرأ قوله تعالى : ﴿ **قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ** ﴾ [التحريم ٦] ، وقد أمر سبحانه بأداء الأمانة : ﴿ **إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا الأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا** ﴾ [النساء : ٥٨] ، وقال سبحانه : ﴿ **إِنَّا عَرَضْنَا الأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الإِنسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولاً (٧٢)** ﴾ .
[الأحزاب : ٧٢] .

وعن أبى هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « **آية المنافق ثلاث : إذا وعد أخلف ، وإذا حدث كذب ، وإذا أؤتمن خان** » متفق عليه [١] ، وفى

---

(١) البخارى (٣٣) مسلم (١٠٧) شرح النووى (١٠٧) (٥٩) جـ٢ .

رواية : « **وإن صام وصلى وزعم أنه مسلم** »[(١)]

وفى الصحيح : « **كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته** »[(٢)] ، إن الوالد مثاب ومأجور على إحسانه لأولاده بالطعام والشراب والملبس والمسكن ، ولكن أين الحرص على إقامتهم على دين الله ، وقيادة المنزل قيادة إسلامية ، وتربيتهم على كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ وزجرهم عن مخالفة الشرع الحنيف حتى يسعدوا فى دنياهم وأخراهم ، ويكونوا قرة عين لنا فى الدنيا والآخرة .

لقد انقلبت الموازين وصبغتنا الدنيا بصغتها المادية ، وأصبحت هى كل همنا ومبلغ علمنا ، وتوهمنا مع ذلك كله أننا نُحسن الصنع ونؤدى واجبنا بأمانة وإتقان لكوننا وفرنا الكماليات واشترينا التليفزيون والڤيديو ونطق الإبن بكلمات أجنبية ... !!! ولو سمينا الأشياء باسمها لقلنا هذه إضاعة للأمانة وصورة فجة من صور المادية المعاصرة ، وإهدار لمعانى التربية الإيمانية الصحيحة وعقوق للأبناء ، ولذلك لا نستغرب إذا عَقُونا كباراً ، فالجزاء من جنس العمل ، وياليتنا نضم للنصيحة والشفقة المادية نصيحة وشفقة إيمانية حتى يكتمل الأمر ونكون من الصادقين .

المربي بحاجة إلى تربية إيمانية :

لقد انفصلت التخصصات عن معانى الإيمان كانفصال الأرض عن السماء والدنيا عن الآخرة والروح عن الجسد ، فى عصور الغربة والتغريب بعد أن كانت هذه المعانى حسبة واحدة وتوزن بميزان واحد ، ولذلك فالخطر كبير على الأجيال القادمة إن لم يتداركنا ربنا برحمته ، فالأب يربى أولاده على الكذب عندما يقول لهم : إن سأل أحد عنى فقولوا له إنى غير موجود ، ويعودهم الإنحراف منذ صغرهم ، والأم تشاركه عندما ترضعهم لبان الخلاعة

---

(١) مسلم (١٠٩) .
(٢) البخارى (٨٤٤) مسلم (٣٤٠٨) الإمارة .

والميوعة وكأن مهمتها قاصرة على الرقص والغناء وارتياد السينما والمسرح .. والمدرس قد يكون أشبه بلوحة نخرة فى سفينة فى عرض المحيط ، فهو لم ينصبغ أثناء دراسته بحياة الإيمان ، ولا هو وضع طاعة ربه نصب عينيه ، بعد أن تقلد مهمة التدريس .

ومن المعلوم أن التعليم عندنا ، إما تعليماً علمانياً لا دينياً ، أو تعليماً تبشيرياً (١) ، وعلى المدرس أن يجتهد وأن يعرق فى نقل حضارة الفراعنة ونظرية دارون والخصائص الطبيعية وزعامة سعد زغلول ومعانى القومية والإشتراكية ... لأبنائه الدارسين !! حتى وإن خالفت عقيدته وعقيدة أبناء المسلمين ، فهذه هى مهنته ومهمته التى يؤديها ، بل لقد حصل بعض الأساتذة على الدكتوراة من البلدان الشيوعية ، وجاءوا إلى بلدان المسلمين ينفثون سمومهم فى جسد هذه الأمة ، فأين الأمانة وتأدية الرسالة وتنقية العلوم من كل ما يخالف دين الله ؟ ولماذا لا نصبغ المواد الدراسية صبغة إيمانية ونتخول (٢) هؤلاء الأبناء بالعظات والعبر التى تحبب إليهم معانى الإيمان .

إن اللسان الذى صيغت به العلوم ، حتى لو كانت حقاً ، ليس عالماً بل هو لسان محلى ، ولسنا بأقل من الشيوعين الذين رفضوا تربية أجيالهم على علوم الغرب الليبرالية وأعادوا صياغة العلوم صياغة ماركسية حتى تتواصل حلقاتهم وأجيالهم !! ، فالواجب علينا أن نتقى الله فى ديننا وفى أبناء أمتنا وفى أنفسنا وإلا فالمواد الدراسية فى معظمها قد فُصِّلت على غير أجسام المسلمين ، واعلم أخى المُربى أن السلوك مرآة الفكر ، وأن الإستقامة هى أعظم كرامة ، فلا تكتفى بنظريات دور كايم ومعانى التربية المأخوذة عن الغرب والتى تُعلى من شأن الجنس الأبيض وعظمة الرجل الأوروبى وتجحد وجود الخالق جل وعلا .

---

(١) لقد ذاع استخدام كلة التبشير على ألسنة دعاة التنصير وهو فى الحقيقة تكفير والصواب أن يقال عنه تنصير .

(٢) أى نذكرهم كل فترة .

فلقد زيّف الغرب نظريات واعتبرها علماً ودرستها الجامعات على أساس ذلك وهى أشبه بزبالات ، كنظرية فرويد فيما يتعلق بالجنس ، وماركس فيما يتعلق بالدين ، ودارون فيما يتعلق بالتطور والنشوء والإرتقاء ، ودور كايم فيما يتعلق بنسبية الأخلاق ، لا حاجة بنا إلى الدراسات النفسية التى جُربت على الحيوانات وخصوصاً إذا تصادمت مع الكتاب والسُنة فقد أغنانا ربنا عن ذلك كله ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِينًا ﴾ [المائدة : ٣] ﴿ أَلا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ (١٤) ﴾ [الملك : ١٤] .

التعليم الحالى وأثره فى إفساد الناشئة [(١)] :

هذه الأمة لها عقيدة ورسالة ، فالتعليم يجب أن يكون خاضعاً لذلك ، وكل تعليم لا يؤدى هذا الواجب أو يغدر بذمته ويخون فى أمانته فليس هو التعليم الإسلامى ، بل هو التعليم الأجنبى ، وليس هو البناء والتعمير ، بل هو الهدم والتخريب ، والأمية خير لها من هذا التعليم الذى يصيبها فى عقيدتها وروحها ، لذا فالأمة فى أمس الحاجة إلى نظام تعليمى إسلامى فى الروح والوضع والسبك ، هذا إذا أردنا أن ينشأ جيل يفكر بعقل إسلامى ، ويكتب بقلم إسلامى ، ويدير دفة البلاد إدارة إسلامية فى كل ناحية من نواحيها ، وحينئذ تكون البلاد الإسلامية ، إسلامية حقاً فى سياستها وتعليمها واقتصادها وأخلاقها ، وهذا الأمر يستدعى نظراً وتركيزاً فى المقام الأول على المنهج الذى يدرسه أبناء المسلمين ، ولا يصلح الإعتماد على نماذج غربية وافدة .

وقد رأينا كيف كانت خطة الإنجليز لتدمير الشخصية الإسلامية تتم عبر تطوير التعليم المنهجى ، وما الذى يتوقع أن يكون من أمر التعليم إذا كانت السلطة الفعلية الكاملة فى وزارة المعارف المصرية الإسلامية بيد المستر « دانلوب»

---

(١) راجع كتابنا « إرشاد الطالب لتحقيق أهم المطالب » ط . دار الإيمان . الأسكندرية .

القسيس ، لا يُستغرب حينئذ إذا خطط دانلوب لقتل اللغة العربية والقضاء عليها لأنها لغة القرآن ، ووضع حصة الدين فى نهاية الجدول المدرسى ، وأصبح مدرس الدين هو نفسه مدرس اللغة العربية ، الذى وضعه دانلوب فى ذلك الوضع المزرى المهين ، وزيادة فى النكاية لدرس الدين ، فقد وضعه المنهج الدانلوبى ضمن المواد الإضافية التى تُحذف فى جدول الصيف المختصر ، الذى يقتصر على المواد الرئيسية ، فيحذف منه الدين والرسم والأشغال اليدوية والألعاب الرياضية ، وهكذا يتساوى الدين مع الرسم فى حس التلاميذ ، ويصبح مادة هامشية ليس لها اعتبار ، وبهذا التدبير البطئ الأكيد المفعول تخرجت أجيال وراء أجيال لا تحس بأى توقير نحو الدين .

ولم تسلم المناهج الأخرى من هذا الدس وهذا التخريب ، ولو نظرنا فى كتب الأطفال على سبيل المثال لوجدنا أنها تنشر الأسطورة والخرافة والشعوذة وتشكل عندهم الخوف وتورثهم الإعجاب بالبطولة الغربية ، وهذه الأشياء من شأنها أن تلوث عقائد الصغار ، كما أن الكتب المدرسية تحتوى على ما يُسمى بالشعر الحر لشعراء ملاحدة ، واشتملت على ألفاظ تحتاج إلى ضبط كالخطيئة والخلاص .

لقد غاب الهدف الواضح من العملية التعليمية ، وهو إنشاء جيل يؤمن بالله رباً ، وبالإسلام ديناً ، بمحمد ﷺ نبياً ورسولاً ، ويأخذ بالسُنن الشرعية والسُنن الكونية ، حتى يقيم حضارة على منهاج النبوة ، وإلا فليس مجرد تعليم العلوم والفنون واللغات الوطنية والأجنبية هو الغاية والهدف الذى نصبو إليه ، ولا نقبل أن يُنقل إلينا الصراع الذى حدث فى أوروبا ، فى قرونها الوسطى بين العلم والكنيسة ، فكلنا يعلم أنه لا تعارض بين مسائل العلم الثابتة اليقينية وبين ماجاء فى كتاب الله وفى سُنة رسول الله ﷺ .

المدارس الأجنبية :

ذكرنا أن المدارس الموجودة إما تنصيرية « تبشيرية » يرتادها أبناء المسلمين أو علمانية « لا دينية » بُنيت بأموال المسلمين وبجهودهم ، وهذه وتلك من شأنها

أن تُحدث فوضى عقلية واضطراباً وشكاً وإرتياباً فى الدين واستخفافاً بفرائضه ، وواجباته وثورة على الآداب والأخلاق أو تقليداً للأجانب ، وثمرة ذلك كله ، خروج جيل جاهل، عالة على الآباء وعلى الأمة ، وجرثومة فساد ونقطة ضعف فى مركزها .

وقد أنشأت مؤخراً بعض المدارس الإسلامية ، بالإضافة للمدارس الأزهرية ، ونقطة الضعف فيها أنها محكومة بنفس النظام التعليمى العلمانى ولكنها تحاول تدريس بعض المسائل والآداب الشرعية ، وتعتبر المدارس الأجنبية ، مدارس أولاد الذوات « الطبقة الاجتماعية الراقية » ، ولو نظرنا نظرة كريمة فى كتب اللغات الأجنبية لعلمنا أنها لا تصلح لنا ولا تتفق مع ديننا ، فهى كتب لتعويد الرقص ولتعليم الحب والغرام ، تدفع الفتيات إلى السفور وإبراز المفاتن للرجال ، فى المدرسة وفى الشارع وفى المؤسسات ، كما أنها تُعَوِّد الذكور والإناث على تكوين علاقات غير شرعية ، ولك أن تتصفح كتاباً من هذه الكتب لتستغرب بعد ذلك هل نحن فى أوروبا ؟! أم فى حانات الرقص ؟!! ، وهل يصلح من تربى هذه التربية ونشأ هذه النشأة ، لقيادة البلاد والعباد قيادة إسلامية ؟!! .

إن الإجابة واضحة ، ولذلك كان حرص الروس والملاحدة على نقل أولاد الأفغان المسلمين إلى الاتحاد السوفيتى لتعليمهم هناك ، وحرص فرنسا على تعاهد – سانجور الذى ولد لأبوين مسلمين – ليكون حرباً على الإسلام وأهله فى بلده ، ولعل استغرابك يشتد عندما تعلم كيف يفرح الآباء بشدة إذا رجع الابن من مدرسته ينشد نشيداً فرنسيا أو ينطق بكلمة إنجليزية ، حتى لو كان ثمن ذلك تخريب عقيدته وتضييع دينه ، فهى غربة شديدة ، جعلتنا لا نبالى سواء كان الإبن مسلماً أم صار ملحداً !!! .

هل يمكن تدريس لغة أخرى للطفل في سن الروضة ؟ :

تحت هذا العنوان جاء فى كتاب [لغة الطفل] لشاكر عبد العظيم

صـ٧٨ما يلى: « هذا الموضوع حظى بدراسات متعددة فى البلدان الأوروبية » ، وإن لم يُقابل بالإهتمام الكافى فى البيئة العربية ، ثمة آراء متعددة ، تصل فى مجملها إلى التعارض ، يمكن إيجاز أهم هذه الآراء فى الآتى :

١ - الفريق المؤيد لتدريس لغة ثانية في هذا السن تقوم حججه وآراؤه علي ما يلي :

- إيجاد الدافع إلى دراسة لغة ثانية فى سن مبكرة .
- يمكن البدء ببعض المواد الدراسية فى سن مبكرة ، رغبة فى تخفيف العبء عن كاهل المتعلم فيما بعد .
- توفر دراسة لغة أخرى الإطلاع على ثقافات متقدمة ، مما يحقق تراكماً ثقافياً .
- هناك مؤشرات تدل على نجاح تجربة تعليم اللغة الثانية فى سن مبكرة ، من وجهة نظر هذا الفريق .
- كذلك يقول أصحاب هذا الرأى إن الآثار السلبية لتعليم اللغة الثانية فى سن مبكرة إنما توجد حينما تكون اللغة الثانية هى لغة الأغلبية من السكان وهى اللغة القاهرة ، فى حين لا تحظى اللغة الأولى ، وهى لغة الأقلية بأى إهتمام أو دعم .

٢ - الآراء المعارضة فتبني معارضتها علي أسباب متعددة ومتداخلة وأهمها :

- أن تدريس اللغة الانجليزية أو غيرها من اللغات الثانية إنما يتم على حساب اللغة الأولى ، وهى اللغة العربية .
- أن الطفل لم يتمكن بعد من لغته الأولى وهى العربية ، بل لم يتلق أى تدريب عليها ، فكيف يدرس لغة أخرى ؟!! .
- أن اللغة التى يأتى بها الطفل إلى الروضة أو المدرسة هى اللهجة

العامية ، وهى بعيدة عن اللغة العربية الفصحى فى نواح متعددة ، وينبغى توجيه الإهتمام إليها أولاً ، لا إلى غيرها .

- أن الطفل حينما يتعلم لغتين فى وقت واحد يسبب له هذا ما يُعرف باسم تداخل اللغات ، فهو يفكر بلغة ويتكلم بأخرى ، فتختلط قواعد اللغتين ، ومفرداتهما مما يسبب إرباكاً للطفل ، وضعفاً فى اللغتين ، أو إحداهما على الأقل .
- أن هذا سيزيد التلاميذ ضعفاً إلى ضعفهم فى لغتهم العربية التى تعانى من ضعف واضح فيها الآن بالفعل .
- أن هذا سيبعد الطالب عن القرآن الكريم ، وفهمه وقراءته ، واستيعابه ، لضعفه فى اللغة ، كذا سيُولّد هذا فى نفوس الأبناء إحتقاراً للغتهم ، فى مجتمع لا تزال الأمية فيه متفشية ، لذا فإذا الناس ينظرون إلى أن أبناءهم حين يتمتمون ببعض كلمات أجنبية إنما هو فتح وتمدن ورُقِىّ ، وهذا هو الجهل المبين .
- كذلك حين يطلع الأبناء على ثقافات أخرى ، وهم فى هذه السن المبكرة ، ولم يُحصنوا بعدُ ضد مظاهر المادية والإنحلال سيترك ذلك أثراً غائراً فى نفوسهم نحو ثقافتهم الوطنية ، فيشعرون بتخلفها وبانتمائهم روحياً إلى الحضارة الغربية ، يعدونها مثلاً أعلى ، فينشأ الطفل متمرداً على وطنه ، شاعراً بالغربة وعدم الإنتماء .
- أما الدافع ، وتخفيف المواد الدراسية فيمكن أن يتما فى إطار المرحلة الإعدادية أو الثانوية ، ولن يؤثر ذلك فى شيء منهما .

وهكذا نجد أن أصحاب الفريق الثانى حججهم أقوى وأوضح وأكثر ، ويكفى سبب واحد من هذه الأسباب للعدول عن هذه الفكرة ، ألا وهى فكرة تدريس اللغة الثانية فى مرحلة رياض الأطفال أو المرحلة الإبتدائية حتى حينما

تقدم اللغة فى المرحلة الإعدادية فينبغى تقديمها فى ضوء متطلبات المجتمع والدين والثقافة والحاجة إليها ، والإعتبارات التربوية والتعليمية الأخرى التى ينبغى عدم إغفالها ، فالهدف هو استخدام اللغة لأغراض البحث والتواصل ، وليس الغزو الفكرى والتشبه بسلوكيات وأنماط الحضارة الغربية التى لا تتفق معنا فى كثير من توجهاتها وأغراضها وفلسفاتها . أ هـ .

المجلات وقصص الأطفال :

كتب اليهود فى « البروتوكولات » ، أنه لكى تُقام دولة اليهود العالمية ، لابد من إفساد الناشئة ، ولذلك كان حرصهم على التركيز على كل الطوائف وعلى الصغار بصفة خاصة ، واستطاعوا أن يدسوا السم فى صورة مجلات وصحف وقصص ، أو ما يُطلق عليه اسم أدب الأطفال !! مُستغلين فى ذلك شغف الأطفال بالقصة وحرصهم على اللهو والتسلية وسرعان ما امتلأت الساحة بالعديد من الصور والوسائل التى تستهوى الأطفال وتفسد عقولهم وتلوث فطرتهم .

يقول فريد التونى فى رسالة « سموم على الهواء » : « يبقى معنا دور الصحف ومجلات الأطفال المعروضة فى الدول العربية وأكثرها يصدر من بيروت حيث الإلحاد والإباحية والنصرانية ، وهى أنواع :

أ – مجلات أجنبية مترجمة ومنشورة باللغة العربية مثل « سوبر مان » و «لولو » و « الوطواط » و « ميكى » و « زورو » ومنها ما هو خاص بغزو الفضاء مثل « غراندايزر » « الرجل الحديدى » ومنها الخرافة البشرية مثل «طرزان » و « العملاق » و « الرجل المطاط » ، تكاد تكون جميعاً من حيث الأصل والأثر كالبرامج التليفزيونية الموجهة والتى تحتوى على مغامرات عنف بين شخصيات خرافية ومنها ما هو بين حيوانات أو بين غزاة الفضاء وسكان الأرض أو الكواكب الأخرى ويمكن أن يقال فى نتائجها التربوية السيئة على

الأطفال ما سبق ذكره عن آثار البرامج التليفزيونية مع اختلاف كم التأثير ونوعية الفساد حيث الإقبال على مشاهدة الشاشة التليفزيونية أكثر ، وفى مجملها دون استثناء ليس لها علاقة بالقيم والأهداف الإسلامية السامية إلا أهداف القوة والعنف بين قوى الخير وقوى الشر وإبراز السوأتين بشكل فاضح للجنسين من خلال الملابس المشاهدة فى الصورة الملونة ، بل قد شاهدت ما هو أشنع وأفظع فى حياتى كلها من أمر هذه المجلات فى زيارتى لليابان حيث الصور الكرتونية التى فيها تعانق وجماع جنسى فاضح وعارٍ تماماً دون أدنى حياء بين البطل وحبيبته بعد الإنتصار على قوس الشر .

والمداومة على مشاهدة هذه الشخصيات سواء فى التليفزيون أو الصور الملونة فى المجلات تظل ثابتة فى أذهان الأطفال بصفة عامة وهذا هو الخطر ، لا شك أن لهذه المجلات دوراً إيجابياً لا ننكره فى تعود الطفل على القراءة بقراءة تلك الصحف مما يفيده فى دراسته ، ولكن هذه نقطة ماء طيبة من سيل جارف مدمر ، هذا بالإضافة إلى استعمال اللغة العامية فى كثير من تلك المجلات مثل « ميكى ماوس » وغيرها حتى يصرف الأولاد منذ الصغر عن التكلم باللغة العربية وبالتالى عدم فهم قرآنهم ، وهذا ما يحلم به أعداء الإسلام لإبعاد المسلمين عن لغتهم وبالتالى كتابهم المُنزّل ، وهم يفعلون العكس تماماً فنجد إلزام اليهود بتعلم اللغة العبرية فى مراحل التعليم المختلفة للإحتفاظ كما يدعون هم بأنفسهم بلغة كليم الله موسى عليه السلام ، فأين نحن المسلمون من لغة القرآن ولغة نبينا عليه الصلاة والسلام ؟!! .

ب ـ هناك مجلات أخرى من إنتاج عربى مثل « سمير » بمصر و « أسامة » بسوريا و « الهدهد » باليمين ، و « الصبيان وما ريود » بالسودان ، و «ماجد » بالإمارات ، و« سعد وافتح يا سمسم » الكويت ، وتحتوى معظمها على أهداف قومية وثقافات وطنية بعيدة تماماً عن القيم والأهداف الإسلامية

مثل ما تعمله مجلتى « المزمار » بالعراق ، و « أسامة » بسوريا على تربية الأطفال على القومية ، كما تركز تلك المجلات بصفة خاصة على الأهداف الفكرية والجمالية والفنية والفوازير والمراسلات ، إلا أننا نجد أن مجلتى « سعد » و « ماجد » تعنى إلى حد ما بالقيم الإسلامية وصياغتها باللغة العربية وإرفاق جزء خاص بالمعلومات الدينية من تفسير لآية أو ذكر لحديث ، كما تفرد مجلة « سمير » صفحتين لموضوعات دينية بعنوان « أحباب الله » كما تقدم مجلة منبر الإسلام مجلة « الفردوس » شهرياً للطفل المسلم ، أما مجلة « افتح ياسمسم » الكويتية فهى تحمل نفس الأهداف السلبية للبرنامج التليفزيونى الذى يحمل نفس الاسم ونفس المنشأ المترجم أ . هـ .

وقد ذكر كيف أن بعض الأطفال رأوه يسجد لدمية أطفال حتى تحقق له ما يريد ، ومنهم من يرى أنه يستطيع القفز إلى المنزل المجاور ويسرق ما يريد لأن القرد وصاحبه سرقا ولم يقل لهما أحد شيئاً ، ومنهم من حاول القفز على المكتبة وألقى بنفسه على أخيه الصغير فأصيب بإصابات خطيرة فى العمود الفقرى ، ومنهم من تولد عنده الخوف الشديد ... وغيرها كثير نتيجة هذا العبث الذى يروّج له تحت اسم أدب الأطفال وبزعم الإهتمام بهم والترويح عنهم !! .



عذراء قريش في أدب الطفل



يقول محمد بسّام ملص : « عندما يأتي كاتب ويتصدى لكتابة التاريخ الإسلامي بحجة نشر العلم والمعرفة وتشجيع العامة على قراءة هذا التاريخ ، ثم يستعير مما كتبه الأجانب عن تاريخنا ، عندما يحدث هذا فلابد من أن نقف وقفة حازمة في وجه هذا التيار .

الكاتب هو جورجي زيدان ، والكتاب هو رواية : « عذراء قريش » أما الخطورة فتكمن في أن هذا الكتاب قد أُعد ليقرأه فتيان هذه الأمة ، يقرأون عن ضعف الخليفة عثمان وتسلط أقاربه الأَمويين عليه وعلى رقاب المسلمين ، يقرأون عن طمع عائشة وطلحة والزبير ومواجهتهم لعليّ بن أبي طالب .

هكذا يتحول الصحابة رضوان الله عليهم إلى مجرد رجال كأنما يعيشون في أمة غير أمتنا ويتصارعون من أجل مطامع مثلما يفعل رجال عند أمم أخرى .

لقد استغل الكاتب جورجي زيدان الفترة الدقيقة الحرجة في خلافة عثمان رضي الله عنه واستشهاده وما تبعها من أحداث ليتهم الصحابة ويفترى عليهم كذباً وزوراً ويشير بأصابع الإتهام إلى الخلافات التي وقعت بينهم نتيجة اجتهادهم في الرأي ، ولم يكن اختياره لتلك الفترة عشوائياً بل كان اختياراً مقصوداً ليحقق أغراضه ويتحزب لبعضهم دون بعض ، بل ليعظم من اتفقت الأمة على إدانته مثل محمد بن أبي بكر والأشتر النخعي ، ولكن الحق يأبى إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون ، إذ كان العلماء من السلف الصالح يرون الإمساك عما شجر بين الصحابة خيراً من الخوض في ذلك بغير علم بحقيقة الأحوال [١] ، فإن الإمتناع عن هذا أولى في تربية الأطفال وتوجيههم ، هذه قاعدة أساسية نتعامل

---

(١) منهاج السُنة ، « جـ ٢ ص ١٨٤ ».

معها فى توجيهنا لأطفالنا .

إن الإعراض عما ظهر بين الصحابة رضوان الله عليهم أمر نتمسك به ، فكيف هو الحال فى الخوض فى أكاذيب وافتراءات وأباطيل ألصقت زوراً بالصحابة ؟ لابد من دفعها دفعاً قوياً وبناء سد منيع يحول دون زحفها إلينا ، هذا السد المنيع يحتاج إلى لبنة وإلى جهد وإخلاص ودأب وصبر وتضحية .

الساحة الفكرية تنتظر جهود الصادقين المخلصين ليقدموا الثقافة البديلة التى نريد لأطفالنا ، وما ظهرت رواية « عذراء قريش » وغيرها من كتب كثيرة تحاول النيل من التاريخ الإسلامى إلا لعدم وجود ما يشغل الساحة ، فتعمل من أجل هذه الأمة ، وسيرى الله عملنا ويؤجرنا فى الدنيا والآخرة أ . هـ .

لم يسلم التاريخ الإسلام من التشويه ، ونال الصحابة والخلافة الإسلامية الحظ الأوفر من ذلك ، إذ أن الصحابة رضى الله عنهم هم الذين نقلوا لنا الكتاب والسنة ولذلك يقول أبو أيوب السختيانى : « إذا رأيت الرجل ينتقص أحداً من صحابة رسول الله ﷺ فاعلم أنهم أرادوا أن يجرحوا شهودنا ليعطلوا العمل بالكتاب والجرح بهم أولى وهم زنادقة » .

ولم يقتصروا على الطعن فى الخلافة العثمانية وتصويرها على أنها خلافة الجهل والفقر والمرض ، بل طعنوا أيضاً فى الخلافة الراشدة ، حتى إذا قلنا : نعود لديننا ولشريعة ربنا ، قالوا لنا : هل تريدون أن نعود لصراعات عليّ ومعاوية [١] ، أو هل تطلبون أن نرجع لخلافة هارون الرشيد ؟! .

نحن بحاجة لكتابة التاريخ بأيد إسلامية تتقى الله فى نفسها وفى أبناء هذه الأمة ، وإلا فالتاريخ الذى يدرس فى المدارس والمعاهد تاريخ مشوه ومزور أريد منه أن يبرر عوج الحياة حتى يتباعد المسلمون عن دينهم ، وينفصل الدين عن الدولة ، والدنيا عن الآخرة .

---

(١) راجع كتاب [العواصم من القواصم] لأبى بكر بن العربى المالكى .

جهات كثيرة تربي ولدك ... فمن نتهم ؟ :

يخطئ من يظن أن الوالدين هما الجهة الوحيدة المسؤولة عن تربية الأبناء ، فهناك جهات عديدة تشارك فى ذلك ودورها قد لا يقل عن دور الوالدين بل يزيد ، فالمدرسة التى يمكث بها الطفل معظم اليوم بمناهجها المعلومة وحالة المدرسين فيها ، ثم الإحتكاك بالأطفال الذين وفدوا من بيئات مختلفة كل ذلك له دوره الكبير فى تربية وتشكيل الطفل ، وكذلك الشوارع التى تمتلئ بمن يشتم ومن يسب ويضرب وينبعث منها أصوات الراديو وتسجيلات الأغانى الفاحشة ، وتغص بالأطفال الساعات الطوال من الليل والنهار ، هل يمكن لأحد أن يُنكر تأثيرها ؟ ولا تخلوا زيارة الأهل والأقارب من إنعكاسات تتعلق بتربية الطفل وسلوكه ، فالجد يشرب الدخان ، والجدة تشاهد الفيلم فى التليفزيون ، والعمة متبرجة ، والخال يتكلم بالألفاظ البذيئة ، والعم حليق اللحية ... وهل المجتمع ينفك عن مثل هذه النماذج والصور ؟ هذه هى حالة الجيران ، ومن نزورهم ويزوروننا ، ونرتحل إليهم ويرتحلون لنا ، أثر سيء ينطبع فى حس وشعور الطفل فى المدرسة والشارع ، ومن الراديو والتليفزيون ، ومن المجلات والقصص ، ومن الأهل والأقارب ، فهل نتهم هذه الجهة ، أم تلك ، أم نتهم أنفسنا بإفساد أطفالنا ؟!! .

إشكالية ضخمة وكبيرة :

فما زال أولادنا يذهبون إلى المدارس على الرغم من معرفتنا بقصورها العلمى وخللها التربوى ، لأن التعليم فى بعض مراحله إلزامى ، ولذا الناس يُرسلون بأولادهم إلى المدارس ، فكيف يشذون ويخالفون العرف السائد حتى وإن كان العرف فاسداً فى هذه المسألة أو فِي غيرها ؟! ، ومن المعلوم أن إخراج الناس عن أعرافهم فيه مشقة وحرج وهذا يُمنى نفسه بأنه سيصوب المناهج لابنه وسيعوضه الخلل التربوى ، وسيجبر القصور الناشئ ، وذلك يسأل ربه من فضله أن يحفظ له ابنه ويعتبر التعليم وسيلة لإقامة فروض الكفاية كالزراعة والهندسة

والطب ، والعاشر قد يرفع صوته مطالباً المسؤولين بإصلاح التعليم حتى يؤدى دوره ورسالته فى خدمة عقيدة هذه الأمة ودينها .

وما زال أولادنا يذهبون إلى الأهل والأقارب مع معرفتنا بسوء أحوالهم ، لأن الغربة قد عمت وطمت ولا يكاد يخلو مكان من شر وفساد ، ولأن صلة الرحم وبر الوالدين من المعانى الإيمانية التى يجب غرسها فى نفوس الكبار والصغار والمحافظة على حرمتها ، فالرحم معلقة بالعرش تقول من وصلنى وصله الله ، ومن قطعنى قطعه الله ﴿ **وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ** ﴾ [النساء : ١] ، وقد نعى سبحانه على هؤلاء الذين ﴿ **يَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الأَرْضِ** ﴾ [البقرة : ٢٧] ، وقال تعالى: ﴿ **وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا** ﴾ [الإسراء : ٢٣] ، وإن امتنعنا عن زيارة الجيران فلن يمتنعوا هم عنا ولابد من اختلاط بأولادهم وسماع ألفاظهم ... هذا فضلاً عن تأدية حقوقهم التى أوصى بها النبى ﷺ ، والتى تستلزم نوعاً من الإحتكاك .

وقد صحت الأخبار عن رسول الله ﷺ وكلها توصى بالجار خيراً ، مثل : « **من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم جاره** [١] ، **وما زال جبريل يوصينى بالجار حتى ظننت أنه سيورثه** » [٢] ، وقول النبى ﷺ عن المرأة التى كانت تصوم النهار وتقوم الليل : « **هى فى النار** » [٣] لكونها كانت تؤذى جيرانها ، وكان ابن عمر رضى الله عنهما إذا ذُبِحَتْ له شاة يقول : أأهديتم لجارنا اليهودى ، أأهديتم لجارنا اليهودى ... ثم لو استطعنا منع الأذى الذى ينجر بسبب المدرسة والأهل والأقارب والجيران فهل بمقدورنا أن نمنع الشر والفساد الذى ينبعث من الشوارع ويصيب الكبار والصغار ؟! .

---

(١) البخارى (٥٥٦٠) ، مسلم (٦٧) الإيمان .
(٢) البخارى (٥٥٥٥) البر والصلة ، مسلم (٤٧٥٦) .
(٣) أحمد (٩٢٩٨) .

الكبت :

علماء النفس الغربيون يقولون عن الدين : أنه يكبت النشاط ، ويظل ينكد على الإنسان حياته نتيجة الشعور بالإثم ، هذا الشعور الذى يستولى على المتدينين خاصة فيخيل لهم أن كل ما يصنعونه خطايا لا يطهرها إلا الإمتناع عن ملذات الحياة ، وقد ظلت أوروبا غارقة فى الظلام طيلة تمسكها بالدين فلما نبذت قيود الدين ، انطلقت فى عالم العمل والإنتاج ، أفتريدون إذن أن تعودوا إلى الدين وتنكروا على الشباب المتدفق بقولكم هذا حرام وهذا حلال .

ونحن نترك أوروبا تقول فى دينها ما تشاء ولا يعنينا هنا أن نصدقه أو نكذبه وإلا فالإسلام يعترف بالدوافع الفطرية وتنظيف مكانها فى الفكر والشعور ، قال تعالى : ﴿ **زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ** ﴾ [آل عمران : ١٤] .

فهذا أمر واقع والحرج على من انطلق إلى المدى الذى يصبح فيه مستعبداً لهذه الأمور المذكورة ، فالحياة لا تستقيم بهذا الوضع ، وخير الأمور أوسطها ، والتمتع بالطيبات يتم دون إفراط ولا تفريط وبلا ضرر أو ضرار ، قال تعالى : ﴿ **قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ** ﴾ [الأعراف : ٣٢] ، وقال : ﴿ **وَلا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا** ﴾ [القصص : ٧٧] ، وقال سبحانه : ﴿ **كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ** ﴾ [البقرة : ٥٧] .

وقد وسع النبى ﷺ فى مفهوم الصدقة ، فقال :« **وفى بضع أحدكم صدقة** » ، فقالوا : أيأتى أحدنا شهوته ويكون له أجر ، **فقال** :« أرأيتم **إن وضعها فى حرام أكان عليه وزر ، فكذلك إن وضعها فى حلال** » [١] ، فلا يمكن أن ينشأ الكبت إطلاقاً فى ظل الإسلام ﴿ **أَلا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ** (١٤) ﴾ [الملك : ١٤] فالله رحيم بعباده ، وقد شرع لخلقه

(١) أحمد(٢١٥٢٩) ، مسلم(١٠٠٦) .

ما إن تمسكوا به سعدوا فى دنياهم وآخرتهم ، وفتح أبواب الرجاء والتوبة لمن عصى وأذنب فقال سبحانه : ﴿ وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلاَّ اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ (١٣٥) ﴾[آل عمران :١٣٥]، وقال جل وعلا : ﴿ قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوا إِن يَنتَهُوا يُغْفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ وَإِن يَعُودُوا فَقَدْ مَضَتْ سُنَّتُ الأَوَّلِينَ (٣٨) ﴾ [الأنفال : ٣٨] ، الكبت هذا لا يحدث إلا لمن تمرد على شرع الله وخالف أمره سبحانه ، والأمة التى تعجز عن ضبط شهواتها لا تستطيع أن تحافظ على كيانها ، وكيف يصبح الإنسان إنساناً وهو لا يستطيع الإمتناع سويعات عما يريد ؟ وكيف يصبر على جهاد الشر فى الأرض وهذا الجهاد يتطلب منه حرمان نفسه من كثير من الأمور ؟ إن المسلم يرجو رحمة ربه ويخاف سوء الحساب ، ويطالع جنايات النفس ونعم ربه عليه ، ويسير إلى مولاه بين الرغبة والرهبة ، ولذلك تعتدل فى حسه الأمور فلا يصاب بالكبت ، وإذا كان الغربيون وغيرهم تردهم السلطة المرئية التى تملك العقاب السريع ويعملون لها ألف حساب ، ويرفضون حكم الله جل وعلا بزعم أن ذلك يصيبهم بالكبت أليس هذا هو التناقض بعينه ، حين يقبلون حكم المخلوق ويرفضون حكم الخالق ، لقد اتسع مفهوم المسلم ،ولذلك فهو يسعى طلباً للسعادة فى الدنيا والآخرة ﴿ فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلا يَضِلُّ وَلا يَشْقَىٰ (١٢٣) وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَىٰ (١٢٤) ﴾[طه : ١٢٣ ، ١٢٤] ﴿ وَمَن كَانَ فِي هَذِهِ أَعْمَىٰ فَهُوَ فِي الآخِرَةِ أَعْمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلاً (٧٢) ﴾ [الإسراء :٧٢] . ولا يسعنا أن نسير كما كان يفعل الجاهليون ، فقد كانوا يحلون الشهر الحرام عاماً ويحرمونه عاماً ، ولابد أن نخاف على أنفسنا وأولادنا إن خالفنا أمر ربنا وعصيناه سبحانه : ﴿ قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ (١٥) ﴾ [الأنعام : ١٥] .

الموازنة بين المصالح والمفاسد :

ليس العاقل الذى يعلم الشر ، ولكن العاقل كما يقول شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله – : هو الذى يعلم خير الخيرين وشر الشرين ، ونحن اليوم أحوج ما نكون للموازنة بين المصالح والمفاسد لغربة الحال وانحراف الأوضاع عن كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ وعدم تطبيق الشريعة هنا وهناك ، فليس علاج الشر والفساد ، الذى امتلأت به الدنيا فى المدرسة والشارع أن نضع الطفل فى المنزل ، كما نحبس العصفور فى القفص ، بل الصواب فى ذلك ، أن نطبق على كل موقف وسلوك ما يتساوى معه من الأحكام الشرعية وهذا يتطلب معرفة بالشرع وبالواقع بحيث تتحقق المصلحة المنضبطة وتندفع المضرة والمفسدة ، وإن أعوزنا الأمر رددناه لعالمه ﴿ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَىٰ أُوْلِي الأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنبِطُونَهُ مِنْهُمْ ﴾ [النساء : ٨٣] والواقع أن الشريعة الإسلامية ما شرعت إلا لتحقق مصالح العباد فى العاجل والآجل ، أى فى الدنيا والآخرة ، ودرء المفاسد والأضرار عنهم فى العاجل والآجل أيضاً حتى قال البعض : « إن الشريعة كلها إما درء مفاسد أو جلب مصالح » .

يقول ابن القيم عن الشريعة : « مبناها وأساسها الحكم ومصالح العباد فى المعاش والمعاد ، وهى عدل كلها ورحمة كلها ومصالح كلها وحكمة كلها ، فكل مسألة خرجت من العدل إلى الجور وعن الرحمة إلى ضدها ، وعن المصلحة إلى المفسدة وعن الحكمة إلى العبث فليست من الشريعة وإن أدخلت فيها بالتأويل ، فالشريعة عدل الله بين عباده ورحمة بين خلقه » .

ومن رحمة الله تشريع الرخص عند وجود المشقات فى تطبيق الأحكام ، إذا كانت هذه المشقات فوق طاقة البشر المعتادة مثل إباحة النطق بكلمة الكفر عند الإكراه عليها بالتهديد بالقتل ونحوه وإباحة المحرم عند التعرض للهلاك جوعاً وإباحة الفطر فى رمضان للمريض والمسافر ، ولا شك أن دفع المشقة صورة من

صور رعاية المصلحة ودرء المفسدة عن الناس ، وقد عُرف بالإستقراء والتأمل أن مصالح العباد تتعلق بأمور ضرورية أو حاجية أو تحسينية ، والضروريات هى التى لا قيام لحياة الناس بدونها وإذا فاتت حل الفساد وعمت الفوضى وإختل نظام الحياة ، وهذه الضروريات هى حفظ الدين والنفس والعقل والنسل والمال ، أما الحاجيات فهى التى يحتاجها الناس لتحقيق اليسر ولذلك شرع للدين مثلاً العبادات وشرع لحفظه الجهاد وعقوبة المرتد وزجر من يفسد على الناس عقيدتهم ، وإذا فاتت الحاجيات ، لم يختل نظام الحياة ، ولكن يصيب الناس ضيق وحرج ، ولذلك شرع لنا سبحانه الرخص عند المشقة ، وأما التحسينات فهى التى ترجع إلى محاسن العادات ومكارم الأخلاق ، وإذا فاتت خرجت حياة الناس عن النهج القويم السليم ، الذى تقضى به الفطرة السليمة والعادات الكريمة ولذلك شُرعت الطهارة للبدن والثوب وستر العورة ، والنهى عن قتل الأطفال والنساء فى الحروب ، وأخذ الزينة عند كل مسجد ، والنهى عن بيع الإنسان على بيع أخيه .

هل تحديد النسل هو الأفضل لتربية الأطفال ؟ :

دعاء زكريا عليه السلام ربه فقال : ﴿ فَهَبْ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا (٥) يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا (٦) ﴾[مريم ٥ ، ٦] ، ومن دعاء المؤمنين : ﴿ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا (٧٤) ﴾ [الفرقان : ٧٤] فمحبة الولد من جملة الأمور الغريزية الفطرية ، ونفعه وفضله إذا كان صالحاً أمر لا يخفى ، وقد توهم البعض أن كثرة الأولاد تسبب كثرة المشاكل ، وتحول دون الإهتمام الكافى بالأطفال وأنه كلما قل العدد كانت الحياة والتربية أفضل .

ويجدر بنا أن نوضح عدة مسائل تتعلق بهذه القضية :

١ ـ الأسرة الكبيرة أنجح فى المجالات التجارية والحرفية والزراعية من الأسرة

الصغيرة كما أنها أقوى فى مواجهة الأزمات وأقدر على التكافل وصلة الرحم ، ولذلك ترفع روسيا واليابان والسويد وإسرائيل وغيرها شعار الأسرة الكبيرة تساوى حياة أفضل ويدفعون الجوائز والمعونات الضخمة للأسر ذات العدد الأكبر من الأطفال .

٢ ـ أعظم خدمة تقدمها المرأة لنفسها وزوجها وأولادها ومجتمعها حين تقر فى بيتها ، وقد حدد الشرع مكان المرأة ، قال تعالى : ﴿ **وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ** ﴾ [الأحزاب : ٣٣] ، وفى الحديث : « **والمرأة راعية فى بيت زوجها ومسؤولة عن رعيتها** » رواه البخارى [١] ، ولا بأس بمساعدة الزوج مادياً بعمل يدوى فى المنزل أو فى عمل مباح لا اختلاط فيه بحيث لا يكون على حساب إهمال البيت والأولاد ، وإلا فالنفقة على البيت مسؤولية الزوج .

٣ ـ من مقاصد النكاح تكثير نسل أمة نبينا ﷺ ، وفى الحديث : «**تزوجوا الودود الولود فإنى مكاثر بكم الأمم** » [٢] ، ولا مصلحة للأمة فى تقليل نسلها ، ولا يجوز الإستجابة للدعوات العامة التى ترغب فى تقليل النسل ، فهى دعوات مشبوهة .

٤ ـ لا يجوز تحديد النسل خشية الفقر، إذ هذا من سوء الظن بالله تعالى قال تعالى: ﴿ **وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ** ﴾[الإسراء: ٣١] ، ﴿ **وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ إِن شَاءَ** ﴾ [التوبة : ٢٨] ، ولم يثبت أن نبى الله يوسف ولا عمر بن الخطاب ولا صلاح الدين الأيوبى طالبوا بتحديد النسل عندما حدثت المجاعة .

٥ ـ منع النسل يجوز إذا كان لضرورة شرعية كمرض عضال ينتقل للذرية

---

(١) البخارى (٨٤٤) .
(٢) أبو داود (١٧٥٤) النكاح ، وأحمد (١٢١٥٢) .

بالتناسل أو أمراض القلب والكلى المزمنة والسل الرئوى والتهاب المخ والسرطان ، ويجوز مؤقتاً لرضاع ونحوه كحالات الضعف ، ولابد من استئذان الزوج إذ له حق فى الولد ، ولا يُعزل عن الحرة إلا بإذنها ، وألا يتبع الوسيلة المستخدمة ضرراً بالزوجة أو بالزوج ، إذ لا ضرر ولا ضرار ، كما لا يجوز قطع النسل بالكلية كما فى حالات تعقيم الرجال ... إذ قطع النسل مُثلة لا تجوز .

٦ – يقول المودودى فى كتاب « حركة تحديد النسل » ص ١٥٢ : « لقد كان عدد السكان فى المانيا ٤٥ مليوناً سنة ١٨٨٠م ، وكانوا يعانون من ضيق العيش ، حتى كان ألاف منهم يهاجرون إلى الخارج بين عام وآخر، ولكن لما بلغ عددهم ٦٨ مليوناً سنة ١٩١٠م تبدل الوضع الإقتصادى ، وتضاعفت وسائل المعيشة وموارد الرزق مرات ، حتى اضطرت ألمانيا لطلب عمال من الخارج لتسيير حياتها الاقتصادية ، حتى لقد بلغ عدد العمال الأجانب فى ألمانيا سنة ١٩١٠ مليوناً و٣٠٠ ألف عامل » ، ونفس الأمر حدث فى هولندا والسعودية وغيرها ، ولتتأمل فى قوله تعالى: ﴿ الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاءِ وَاللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلاً وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ (٢٦٨) ﴾ [البقرة : ٢٦٨] .

٧ – الحمل والولادة والإرضاع عمليات حيوية لتنشيط غدد المرأة الأنثوية ولذلك فاكتمال أنوثة المرأة إنما يحدث بعد الزواج ، ولا التفات لحالات خاصة تأذت بالحمل المتكرر ، إذ لا خطورة على صحة الأم فى الأعم الأغلب .

٨ – لماذا لا نحتسب الأجر عند الله وندخر الأبناء فى ميزان الحسنات ، ونعلم أن الدنيا مزرعة الآخرة ، وأننا أمة جهاد ، وأن نعلم أن الله لا يضيع أهله ، وأن ما عند الله من خير وبركة وسعة رزق إنما ننالها بطاعتنا له .

أمثال تروج للباطل :

ما أكثر الأمثال المادية التى ضاعت حياتنا وحياة الناس فيها ، فبها يُحكم على الأشياء وإليها يُتحاكم عند النزاع ، وقد ساهمت هذه الأمثال فى إفساد الناشئة وإضاعتهم ، ومن جملة ذلك قولهم فؤادى ولا أولادى ، وهو يتناقض مع ما ذكرناه من قصة يعقوب مع نبى الله يوسف ، كما يتنافى مع الإيثار الوارد فى قوله تعالى : ﴿ **وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ** ﴾ [الحشر : ٩] ، ومع قوله سبحانه : ﴿ **وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا** ⑧ ﴾ [الإنسان : ٨] ، كما أنه يتنافى مع محبة الخير للآخرين ويعمق معانى الأنانية المذمومة وفى الحديث : « **لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه** » [١] ، بل كافٍ فى تقطيع ما أمر الله به أن يوصل ، ونوع من الفساد فى الأرض ، قال تعالى : ﴿ **وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ اللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا** ﴾ [المزمل : ٢٠] .

وفى الحديث : « **ما من يوم يصبح العباد فيه إلا ملكان ينزلان ، فيقول أحدهما : اللهم أعط منفقاً خلفاً ، ويقول الآخر : اللهم أعط ممسكاً تلفاً** » متفق عليه [٢] ، وأفسد من هذا المثال قولهم : موت البنات سترة ، وكيف يحسن تربية بناته من يعتقد مثل هذا الاعتقاد ، وهل ينتظر منه الإحسان إليهن ؟!! .

إن هذا المثل يتعارض مع العديد من نصوص الكتاب والسُّنة مثل قول النبى ﷺ : « **من عال جاريتين حتى تبلغا جاء يوم القيامة أنا وهو كهاتين وضم أصابعه** » رواه مسلم [٣] ، وقوله ﷺ : « **سووا بين أولادكم فى العطية ، فلو**

(١) البخارى (١٢) الإيمان ، مسلم (٦٣) الإيمان .
(٢) البخارى (١٣٥١) مسلم (١٦٧٨) الزكاة .
(٣) مسلم (٤٧٦٥) البر والصلة .

كنت مفضلاً أحداً لفضلت النساء » رواه البيهقى والطبرانى [١] .

وفى الحديث : « **ما من مسلم تدرك عنده إبنتان فيحسن صحبتهما إلا أدخلتاه الجنة** » رواه ابن ماجه [٢] ، وقال ﷺ : « **لا تنزع الرحمة إلا من شقى** » رواه أبو داود [٣] ، وقال : « **ابغونى فى الضعفاء فإنما تنصرون وترزقون بضعفائكم** » رواه البخارى [٤] .

إن هذا المثل ينطوى على ظلم عظيم ، فكيف يستقيم الحال وينصلح الشأن بمثله ؟ ﴿ **أَلا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ** ﴾ [هود : ١٨] .

وخطورة هذه الأمثال تكمن فى أنها شائعة ورائجة ، فى وقت تباعد فيه الناس عن كتاب ربهم وسنة نبيهم ﷺ ، وعاد فيه الأمر غريباً كما بدأ غريباً ، وما أصدق قول عمر رضي الله عنه فى هذا شبهه : « يُهدم الإسلام إذا نشأ فيه مَن لا يعرف الجاهلية » ، وهل يُتصور غير هذا إذا شب الصغير وشاب الكبير على مثل هذه الأمثال ؟! .

الصحوة الإسلامية في مواجهة المتناقضات :

بينما كانت هذه الأمة فى طريقها للانهيار والتحلل من دينها ، وقد توسم الأعداء سقوطها بين عشية وضحاها ، إذا بها تعاود الرجوع لإسلامها مرة ثانية، واستيقظت قطاعات من الرجال والنساء ، والكبار والصغار ، من غفلتها وغفوتها ، لتواجه متناقضات رهيبة ، فالإسلام فى واد والمسلمون فى واد آخر ، وقد حدث انقسام مريب بين الدين والدولة والدنيا والآخرة والأرض والسماء ، وأصبح الكثيرون من المسلمين ينتسبون لدينهم بالنوايا الطيبة والقلوب البيضاء ، كما يزعمون ، فطالما أن الإنسان لا يزنى ولا يسرق يكفيه ذلك حتى وإن كان

---

(١) البيهقى (١٧٧/٦) والطبرانى .
(٢) رواه البخارى فى الأدب المفرد (٧٧) .
(٣) أبو داود (٤٢٩١) الأدب .
(٤) البخارى (٢٦٨١) الجهاد والسير ، صحيح السنن (٢٢٦٠)

تاركاً للصلاة والزكاة والصيام ، فربك رب قلوب كما يقولون !! ، وفى أحسن أحوالهم يصلون ويحجون .. ويفضلون ذلك عن السياسة والإقتصاد والبيع والشراء وكأن لسان حالهم يقول : دع ما لقيصر لقيصر وما لله لله ، ولا يخجلون من قولهم ساعة لربك وساعة لنفسك ! ، والساعة التى هى لنفسه يطيع فيها كل شيطان مريد ، ويهدم فيها كل طاعة عملها فى الساعة الأولى ، تناقضات شديدة ولدت جيلاً يعيش بوجهين وبمفهومين وبولائين وجه له فى المسجد فيه أمارات التقى وعلامات الصلاح ، والثانى هو وجه المخمور فى حانة من الحانات أو مع راقصة من الراقصات ، يصفق لها ويغنى ، أو فيه أمارات الغش والكذب والربا والخداع .

لقد ظهرت الصحوة الإسلامية وسط المتناقضات المريبة ، فرأينا الابن يصلى ويطلق لحيته ، والأب يلعب القمار ويشرب خمراً، وبينما تجلببت البنت وسترت نفسها إلا أن الأم ما زالت متبرجة وتذهب لحلاق السيدات « الكوافير » ! .

لقد أثرت الجاهلية المعاصرة فى الكبير والصغير والرجل والمرأة ، وظهر ذلك جلياً فى الأقول والأفعال ، ولم يتباعد هذا التأثير عن أبناء الصحوة ، فكثير منهم التزم بدينه وطاعة ربه على كبر ، وكسنن كونية فالكثرة تجهل أكثر مما تعلم ، ومن جملة ذلك طرق التربية وقواعد السلوك ، وكيف يحيبون أطفالهم ويحببونهم فى طاعة الله ويربونهم تربية إسلامية فى وقت غربة كهذا ؟ نعم يحدوهم الحنين لاستئناف حياة إسلامية وتمتلئ نفوسهم وقلوبهم بالعواطف الإيمانية ، ولكن كل هذا لا يكفى ، ولك أن تتخيل حالة الطفل فى أجواء التناقض هذه ، فالأب يصلى ويصوم وينطق بالطيب من القول ، والدنيا من حوله لها شأن آخر ، قد لا يمت للإسلام بصلة ، ثم هو لا يسعه أن يُكفِّر عموم الناس ، فالناس ورثوا الإسلام وجهلوا معانية ولم تقم عليهم الحجة الرسالية قياماً يتأكد معه أن يحيىٌ من حيٍّ عن بينة ، وأن يهلك أيضاً من هلك

عن بينة ، إشكالية وفتنة تجعل الحليم حيراناً والقابض فيها على دينه كالقابض على الجمر ، ومن أراد أن يحافظ على صيانة نفسه وصيانة ولده ، كمن يجدف فى سفينة وسط أمواج عاتية فى عرض المحيط ، يتلمس النجاة ويعلم أنه إن لم يتداركه ربنا برحمته فلا سبيل لدفع الغرق عن نفسه ولا عن ولده .

بعض مشاكل الأطفال الشائعة :

التصرفات والسلوكيات الشاذة كثيرة فى حياة الأطفال ، ولها دوافعها ومبرراتها ، كما أن لها علاجها ، وهذه التصرفات قد تسبب بعض الأذى والمشاكل للوالدين ، وكل ذلك لا يُستغرب ، فالطفل ينقصه العقل والإدراك والغالب عليه الجهل والطيش ، فكيف إذا فسد المجتمع من حوله على النحو الذى بيناه وانطمست فطرة الطفل وتلوثت بالإنحراف الذى يعيش فى أجوائه ومن جملة هذه السلوكيات الشاذة :

[١] العدوانية أو الطبع الانفجاري :

وهذا السلوك ينشأ نتيجة تكليف الطفل بعمل أكبر من طاقته ، أو حرمانه من رغباته ، وإرغامه على اتباع بعض النظم والعادات بالقوة ، فيظهر الطفل غضبه عن طريق استخدام الشتائم أو إلقاء الأشياء وتدميرها أو الإمتناع عن الأكل ومع التمادى ، تظهر النوازع العداونية الإنفجارية كتعبير نهائى عن شدة الغضب والواجب فى هذه الحالة ، عدم تكلفة الطفل بعمل أكبر من طاقته ، والتدرج فى تعليمه العادات السليمة حتى يقبلها دون عناد ، وعدم القسوة فى العلاج أو الضرب ، واللين والرفق واستخدام أسلوب الترغيب والترهيب باتزان مع وجود الهدوء الأسرى له أثره البالغ فى علاج الحالات العدوانية ، كما ينبغى أمر الطفل بالتعوذ بالله من الشيطان الرجيم وتوجيهه إلى الوضوء أو غسل وجهه أو الجلوس إن كان واقفاً .

[٢] ظاهرة السرقة عند الأطفال :

قد ينشأ ذلك عند الطفل بسبب تقليد الآخرين ، أو بتوجيه منهم ، وفى

الغالب يكون الحرمان هو الدافع للطفل على ذلك ، مع نزعة حب التملك ورؤيته للأطفال الآخرين ومعهم اللعب أو السندويتشات أو الأقلام ونحو ذلك ، والعلاج يكمن فى تخويفه من عذاب الله وتهذيبه بالوعظ ، ووعده بالهدايا حتى لا يسرق ، وإشعاره الحنان مع مراقبته حتى لا ينحرف ، ولا بأس فى النهاية بالعقاب التدريجى .

[٣] ظاهرة الكذب :

قد يلجأ الطفل لذلك دفعاً لشئ يتهدده أو رغبة فى الحصول على أمر يحبه أو بسبب التقليد والمحاكاة للبيئة المحيطة به ، فقد يعود الأب أولاده الكذب حينما يأمرهم بأن يقولوا لمن سأل عنه : أبى غير موجود ، وهو موجود بالفعل ، أو عندما يشاهدونه يعد ويخلف الوعد ، والواجب فى هذه الحالة تخويفه من عذاب الله ومداومة ترقب حالته حتى يصدق ، ومدح الصادقين أمامه وتشجيعه على الصدق وتعويده عليه وإزالة الأسباب الداعية إليه متى استطعنا .

[٤] الطفل الخائف أو الجبان :

الخوف عند الأطفال قد ينشأ بسبب حكايات العفاريت والأشباح والحوادث والحيوانات ، كما أن قسوة الأب وشدة الضرب تزيد الخوف ، وقد يصل إلى حد الهلع ، وقد لوحظ أن المشاكل بين الزوجين تسبب خوف الأطفال وبكاءهم المستمر ، والأطفال المرضى أكثر خوفاً من الأصحاء ، والبنات أكثر تعرضاً للخوف من البنين ، وفى هذه الحالة لابد من السعى فى تقوية البدن والنفس ، فالإيمان بالله والتوكل عليه والثقة به سبحانه تبعث فى نفوس الكبار والصغار معانى القوة ، ولابد من تعويده الشجاعة وتزويده بقصص الصحابة وإشعاره بأن الله معه لأنه يؤمن به وبقضاءه وقدره واقناعه بأنه لا يمكن أن يصاب بأذى إلا بإذن الله ، ولا بأس بالسير معه فى الظلام ومواجهة الأشخاص المخيفين بالنسبة له ، فالعادة تذهب الرهبة ، ولا يصح نسيان المعانى

الإيمانية كالتعوذ والبسملة وقراءة آية الكرسى وخواتيم سورة البقرة و ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴾ والمعوذتين ، وتعليم الطفل ذلك ، وقد كان رسول الله ﷺ يعوذ الحسن والحسين ويقول : « أعيذكما بكلمات الله التامة من كل شيطان وهامَّة ومن كل عين لأمة » [(١)] ، فالرقى الصالحة نافعة بإذن الله لهذا الأمر وغيره .

[٥] الأحلام المفزعة « الكابوس » :

الرؤى ثلاث : رؤيا من الله ، ورؤيا تحزين من الشيطان ، ورؤيا مما يُحدث المرء نفسه ، كما ورد فى الأحاديث الصحيحة ، والأطفال كثيراً ما يرون ما يفزعهم أثناء نومهم ، فينبغى تعويد الأطفال النوم على الشق الأيمن ، وأن يحافظ على أذكار النوم أو بعضها بالإضافة إلى ما سبق ذكره ولا ينام على بطنه فذلك نوم الشياطين ، وعدم حكاية الحكايات المفزعة وخصوصاً قبل النوم ، مع الأطفال من مشاهدة التليفزيون وخصوصاً أفلام العنف والرعب وما شابه ذلك ، ولنعلم أن الشيطان لا يفتح باباً مغلقاً ولا يدخل البيت الذى تُقرأ فيه سورة البقرة ، ويستحل الشيء الذى لا يُذكر اسم الله عليه ، والجن الذى يعرض للصبيان يُطلق عليه اسم الروح .

وقد ورد فى سنن أبى داود والترمذى وابن السنى وغيره عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده : أن رسول الله ﷺ كان يعلمهم من الفزع كلمات : « **أعوذ بكلمات الله التامة من غضبه وشر عباده ، ومن همات الشيطان وأن يحضرون** » قال : وكان عبد الله بن عمر يعلمهن من عقل من بنيه ، ومن لم يعقل كتبه فعلقه عليه » ، قال الترمذى : حديث حسن [(٢)] ، وفى رواية ابن السنى : جاء رجل إلى النبى ﷺ فشكا أنه يفزع فى منامه ، فقال رسول الله ﷺ : « **إذا أويت إلى فراشك فقل : أعوذ بكلمات الله التامة من غضبه ، من**

(١) البخارى (٣١٢٠) أحاديث الأنبياء .
(٢) أبو داود (٣٧٧٠) .

شر عباده ، ومن همزات الشيطان وأن يحضرون ، **فقالها فذهب عنه** »[(١)] .

وعن أبى قتادة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ :« الرؤيا الصالحة » ، وفى رواية : « **الرؤيا الحسنة من الله ، والحلم من الشيطان ، فمن رأى شيئاً يكرهه فلينفث عن شماله ثلاثاً وليتعوذ من الشيطان ، فإنه لا يضره** » رواه البخارى ومسلم[(٢)] ، والنفث : هو نفخ لطيف لا ريق معه ، وقد ورد فى بعض الروايات : « وليتحول عن جنبه الذى كان عليه » ، وفى الحديث : « **إذا رأى أحدكم رؤيا يكرهها فلا يحدث بها أحداً وليقم فليصل** » رواه الترمذى[(٣)] .

[٦] الغيرة :

هذه الظاهرة موجودة عند الكبار والصغار ، وتحتدم وتزيد بسبب التطلع والتفريق فى المعاملة بين الأبناء ،كما يحدث عادة عند ميلاد أخ جديد يشغل الأم عن طفلها الأول ، أو تفضيل الصبيان على البنات أو تدليل ولد دون سائر إخوته ، مما يترتب عليه حقد وكراهية، وقد ينتج عن هذه الغيرة ، التهتهة أو التبول اللاإرادى أو الأحلام المفزعة أو مص الأصابع، أو الغضب وعدم تلبية الأوامر، ولذلك استحب السلف التسوية بين الأولاد ولو فى القُبلة ،وإشعار الكل بأنه موضع إهتمام ومحبة ،وتعويد الأطفال القناعة وعدم التطلع للآخرين وصرف الطفل إلى ما يشغله أو إعطاء بعض اللعب أو نحو ذلك أثناء إرضاع الوليد .

[٧] التبول اللاإرادي أثناء النوم بعد سن ٣ سنوات :

وهذه ظاهرة مرضية ، قد يكون سببها عضوياً كالتهاب الحوض والحالب والمستقيم أو نتيجة الإصابة بالبرد ، وقد يكون سببها نفسياً كالخوف والغيرة ، ولذلك لابد من عرض الطفل على طبيب متخصص لتشخيص الحالة ، وينصح

---

(١) رواه ابن السنى .
(٢) البخارى(٣٠٤٩) بدء الخلق ، مسلم(٤١٩٧) الرؤيا .
(٣) الترمذى(٢٢١٥) الرؤيا .

بمنع تناول كميات كبيرة من السوائل أو الأطعمة التى تتطلب شرب الماء «كالمخللات والملوحة» ، وخصوصاً قبل النوم ، وإزالة الأسباب النفسية كالخوف والغيرة على النحو الذى بيناه وعدم التهديد بالضرب والحريق وغيرها إذا تبول ثانية ، فهذا ليس علاجاً لهذه الحالة ، ومن الممكن إيقاظ الطفل أثناء النوم ليتبول ولو كل ٤ ساعات ، وحثه على عدم الإكثار من الشاى ونحوه من مُدرات البول ، وتعويده الأذكار الشرعية وخصوصا أذكار النوم ﴿ **أَلا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ** ﴾ [الرعد : ٢٨] .

[٨] **التلفظ بألفاظ قبيحة** :

وهذه الظاهرة تصيب الآباء بخجل كبير وخصوصاً إذا كانوا من أوساط اجتماعية راقية أو متدينة ، والسِّباب والشتائم قد ينطق بها الطفل فى حال الغضب وأحياناً دون معرفة بمعناها وقد يكون قد سمعها من الشارع أو من أقرانه فى المدرسة أو من أغنية سوقية وليس بالحتم واللزوم أن يكون قد سمعها من والديه أو فى أسرته ، وينبغى توضيح خطأ الشتائم وأن الله لا يحب أهلها ، وأن النبى ﷺ لم يكن سباباً ولا لعاناً ولا فاحشاً بذيئاً ، ويُطلب من الطفل أن يستغفر الله وأن يتأسف للذى شتمه ، وإن لم يستجب للنصحية لا بأس من التدرج فى عقابه ، وأحياناً يتطلب الأمر التغاضى وعدم المبالاة بما نطق الطفل ، إذا كان لفظاً عارضاً حتى لا نستثير انتباهه فيكرر اللفظ فى حالة العناد والغضب .

[٩] **الانطواء أو الاكتئاب** :

عادة الأطفال الإنطلاق والمرح والميل إلى اللهو واللعب ، وهذا لا يُستغرب فشأن الطفل كشأن العصفور ، فإذا حدث العكس فلابد من بحث عن السبب لإزالته ، وقد يكون من جملة هذه الأسباب كون الطفل مدللاً فى بيته أو مكروهاً فى أسرته لسوء طبعه ، ولم يجد التدليل والعناية الكافية فى الحضانة أو المكان الذى انتقل إليه ، وفى هذه الحالة لابد من إشعار الطفل بالحنان وإشراكه

مع من يحب فى اللعب وإتيانه بوسائل التسلية المناسبة المباحة ولابد من تعويده المعانى الإيمانية والأذكار الشرعية فهى نافعة للكبير والصغير بإذن الله ، ولا بأس بالرقى الصالحة ، وقد كان رسول الله ﷺ إذا حزبه أمر قال : « **أرحنا بها يا بلال** »(١)[أى بالصلاة] ، وقال : « **وجعلت قُرة عينى فى الصلاة** »(٢) ، وقد رُوى : « **أن من لزم الإستغفار جعل الله له من كل ضيق مخرجاً ومن كل همَ فرجاً ورزقه من حيث لا يحتسب** »(٣) .

وإليك بعض الأذكار النافعية فى هذه الحالة وغيرها :

﴿ أ ﴾ دعاء الكرب والدعاء عند الأمور المهمة :

١ - عن ابن عباس رضى الله عنهما أن رسول الله ﷺ كان يقول عند الكرب : « **لا إله إلا الله العظيم الحليم ، لا إله إلا الله رب العرش العظيم ، لا إله إلا الله رب السموات ورب الأرض رب العرش الكريم** » متفق عليه (٤) .

وفى رواية لمسلم : « **أن النبى ﷺ كان إذا حزبه أمر قال ذلك** » ، قوله : «**حزبه أمر** » أى نزل به أمر مهم أو أصابه غم .

٢ - وروى الترمذى عن أنس رضي الله عنه عن النبى ﷺ (أنه كان إذا كربه ، أى غمه) أمر قال : « **ياحى يا قيوم ، برحمتك أستغيث** » قال الحاكم : هذا حديث صحيح الإسناد (٥) .

٣ - وعن أبى هريرة رضي الله عنه أن النبى ﷺ : « **كان إذا أهمه الأمر رفع رأسه إلى السماء فقال : سبحان الله العظيم ، وإذا اجتهد فى الدعاء قال : يا حى يا قيوم** » رواه الترمذى (٦) .

---

(١) أبو داود (٤٣٣٣) .
(٢) النسائى (٣٨٧٩) عشرة النساء .
(٣) أبو داود (١٢٩٧) ، ابن ماجه (٣٨٠٩) .
(٤) البخارى (٥٨٦٩) مسلم (٤٩٠٩) .
(٥) الترمذى (٣٤٤٦) .
(٦) الترمذى (٣٣٥٨) .

٤ – وفى رواية أحمد وكتاب ابن السنى عن عبد الله بن جعفر عن عليّ رضى الله عنهم قال : لقننى رسول الله ﷺ هؤلاء الكلمات ، وأمرنى إن نزل بى كرب أو شدة أن أقولها : « **لا إله إلا الله الكريم العظيم ، سبحانه تبارك الله رب العرش العظيم ، الحمد لله رب العالمين** »[1] . وكان عبد الله بن جعفر يلقنها وينفث بها على الموعوك، ويعلمها المغتربة من بناته « الموعوك: المحموم » ، « والمغتربة من النساء : التى تزوج إلى غير أقاربها » .

٥ – وعن أبى بكرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « **دعوات المكروب : اللهم رحمتك أرجو ، فلا تكلني إلى نفسي طرفة عين ، وأصلح لى شأني كله ، لا إله إلا أنت** » رواه أبو داود[2] .

٦ – وعن أسماء بنت عميس رضى الله عنها قالت : قال لى رسول الله ﷺ : « **ألا أعلمك كلمات تقوليهن عند الكرب ، أو فى الكرب : الله ربى لا أشرك به شيئاً** » رواه أبو داود وابن ماجه[3] .

٧ – وفى كتاب ابن السنى عن أبى قتادة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « **من قرأ آية الكرسى وخواتيم سورة البقرة عند الكرب ، أغاثه الله عز وجل** » إسناده ضعيف[4] .

٨ – وفيه أيضاً عن سعد بن أبى وقاص رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « إنى لأعلم كلمة لا يقولها مكروب إلا فرج عنه : كلمة أخى يونس عليه السلام : ﴿ **فَنَادَىٰ فِي الظُّلُمَاتِ أَن لاَّ إِلَهَ إِلاَّ أَنتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ الظَّالِمِينَ** ﴾ [الأنبياء : ٨٧] ، ورواه الترمذى عن سعد قال : قال رسول الله ﷺ : « **دعوة ذى النون إذا دعا ربه وهو فى بطن**

---

(١) رواه أحمد (٦٨٨) .
(٢) أبو داود (٥٠٩٠) الأدب .
(٣) أبو داود (١٥٢٥) الصلاة وابن ماجه .
(٤) ابن السنى .

الحوت : لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين ، لم يدع بها رجل مسلم فى شىء قط إلا استجاب له » [١] .

(ب) ما يقوله إذا راعه شيء أو فزعه :

عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده : « أن رسول الله ﷺ كان يعلمهم من الفزع كلمات : **أعوذ بكلمات الله التامة من غضبه وشر عباده ، ومن همزات الشيطان ، وأن يحضرون** » وكان عبد الله بن عمرو يعلمهن من عقل من بنيه ، ومن لم يعقل كتبه فعلقه عليه » قال الترمذى: حديث حسن [٢] .

(جـ) ما يقول إذا أصابه همّ أو حزن :

فى كتاب ابن السنى عن أبى موسى الأشعرى رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « **من أصابه هم أو حزن فليدع بهذه الكلمات ، يقول : أنا عبدك ، ابن عبدك ، ابن أمتك فى قبضتك ناصيتى بيدك ، ماضٍ فىّ حكمك ، عدل فىّ قضاؤك ، أسألك بكل اسم هو لك سميت به نفسك أو أنزلته فى كتابك ، أو علمته أحداً من خلقك ، أو استأثرت به فى علم الغيب عندك أن تجعل القرآن نور صدرى وربيع قلبى وجلاء حزنى وذهاب همّى** » ، فقال رجل من القوم : يارسول الله إن المغبون لمن غُبن هؤلاء الكلمات ، **فقال** : « **أجل ، فقولوهن وعلموهن ، فإنه من قالهن التماس ما فيهن أذهب الله تعالى حزنه وأطال فرحه** » [٣] .

[١٠] ظاهرة التقليد والمحاكاة :

وهى ظاهرة موجودة عند الكبار والصغار ، قديماً وحديثاً ، وتقترن عادة بالجهل وقلة العقل ، وتكمن خطورة التقليد فى العمل بصور الشر والفساد ،

---

(١) الترمذى (٣٤٢٧) .
(٢) سبق تخريجه .
(٣) ابن السنى .

كمن يقلد أباه فى شرب الدخان والسب والشتم ، ولذلك قالوا : من سعادة الحَدَث إذا نسَكَ أن يوفق لصاحب سُنة يحمله عليها .

وكما هو معلوم فإن ملكة الحفظ عند الصغير قوية ، ومعلوماته تكون مما يشاهده بعينه ويسمعه بأذنه دون وعى منه ، وفى المثل العلم فى الصغر كالنقش على الحجر ، ولك أن تتخيل عندما تترك غربة الحال وانحراف الأوضاع بصمتها وأثرها فى نفس الطفل ، يحدث ذلك فى البيت والشارع والمدرسة ومن الإذاعة والتليفزيون والجيران والأقارب ، ولو كان كبيراً لسهل علينا أن نقول وسهل عليه أن يعقل قول ابن مسعود رضي الله عنه : « **لا يقلدن أحدكم دينه رجلاً إن آمن آمن ، وإن كفر كفر** » ، فلا يجمل بالعاقل أن يكون إمعه يقول أنا مع الناس ، إن أحسن الناس أحسنت ، وإن أساءوا أسأت ، ولكن يوطن نفسه ، إن أحسن الناس أن يُحسن ، وإن أساؤا أن يجتنب إساءتهم ، وعموماً فلابد من تعاهد وتربية على اتباع الكتاب والسُنة وبذل النصيحة لأهلها وسؤال الله من فضله ، فشأنك كشأن من يغرس زرعة ويرويها ويسمدها وينقيها من الآفات ... ويسأل ربه أن يدفع عنها الصواعق المُحرقة والأسباب المدمرة .

[١١] كثرة الهرش وعدم الإهتمام بالنظافة :

لابد من ربط الدنيا بدين الله ، وتعريف الصبى أن النظافة من الإيمان ، وأن الله طيب يُحب النظافة ، وأن ديننا يأمرنا بالنظافة فى كل وقت وحين ، وعلى كل حال ، وأن النبى ﷺ وضح وبيّن لأمته كيف تكون نظافة الظاهر والباطن والقول والفعل ، ولابد من تنفير الصغير من قذارة الملابس والأماكن والأقوال والأفعال ، وتعويده الوضوء وغسل الجمعة وغيره من الأغسال المسنونة ، وحثه على تنظيف يديه ووجهه وبدنه وخصوصاً إذا علق به القذر وفى حالة كثرة الهرش ينبغى عرضه على الطبيب فقد تكون حساسية ، وقد تكون بعض الديدان الدبوسية فى الشرج .

[١٢] عادة مص الأصابع :

قد يلجأ الطفل إلى هذه العادة فى حالات الخوف والغيرة ، ويُخشى إن استمرت معه فى غير أوانها أن تكون دليلاً على إحتمال ظهور الجبن والإنطواء وضعف روح المخاطرة حال كبره ، ولابد هنا من علاج السبب الدافع لهذه العادة وشغل الطفل بلعبة أو نحو ذلك لنسيان هذه العادة ولا بأس بالعتاب التدريجى إذا استمر على هذه الحالة .

[١٣] صعوبة النطق «التهتهة .. التأتأة» :

الأولاد يتفاوتون فى سرعة النطق ، وهذا أمر لا يُستغرب ، وقديستمر التأخير فى النطق حتى سن الثالثة ، إلا أنه قد تستمر صعوبة النطق ، ويظهر لك فى صورة تهتهة أو لثغة أو تأتأة أو نحو ذلك ، وهذا الأمر قد يكون وراثياً وقد يكون نفسياً بسبب الخوف أو الغيرة ، وغالباً يصاحب صعوبة النطق حركات عصبية ، ويأتى التأنيب والسخرية من الطفل ليزيد الطين بلة كما يقولون ، فالصغير لا ذنب له على كل حال، ولا قدرة لديه على تغيير طريقة نطقة فهو لا يتصنعها ، وإن كان من سبيل فالتأنيب والسخرية والإستهزاء لا تصلح طريقاً لعلاجه ، ولابد فى مثل هذه الحالات من إعطاء الثقة للطفل ولا بأس من الكلام مع الكبار لمدة طويلة دون الإستهزاء به بل مع الإنصات لكلامه وإظهار تفهمه ، ولابد من علاج الأسباب إن وُجدت وفى بعض الحالات يتطلب الأمر عرض الطفل على المراكز المتخصصة فى النطق خاصة إذا كان الطفل متقدماً فى السن .

بعض المسائل الهامة المتعلقة بلغة الطفل :

المسألة الأولى :

البيئة الصالحة التى يشيع فيها التراحم والمودة قال تعالى : ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ﴾ [الروم : ٢١] ، فالإنسان قد لا يملك أمر مجتمعه الكبير ، ولا قدرة له على

تغييره ، ولكن يملك أمر نفسه وبيته ، فإذا أقام أسرته على كتاب الله وعلى سُنة رسول الله ﷺ ، فلا يسمع الطفل إلا كل خير ، ولا يصل لأذنه سباب أو شتائم ، ويتربى فى جو تشيع فيه المودة والرحمة وتوحيد الله جل وعلا مما يكون له أكبر الأثر فى تنشئة الطفل تنشئة لغوية سليمة .

المسألة الثانية :

متابعة سلوك الزوجين ، خاصة الأم أثناء الحمل فتأثر الطفل بالبيئة المحيطة به لا يقتصر على فترة ما بعد الولادة ، بل لابد من توفير جو الهدوء النفسى أثناء الحمل ، لأن سلوك الأم يؤثر بشكل مباشر على الجنين ، وحالاتها النفسية لها أثرها فيه ، ومن هنا فلابد من توجيه الأم ورعايتها أثناء الحمل ، فالطفل يشعر داخل الرحم بالهدوء كما يشعر بالأصوات العنيفة ويؤثر كل ذلك على جهازه العصبى ، فإذا أردنا للجنين تكويناً جسمياً ونفسياً سليماً ، فعلى الزوجين والأم بصفة خاصة الإهتمام بهذه المرحلة .

المسألة الثالثة :

حاسة السمع هى أولى الحواس عملاً وعلاقة ذلك بالآذان والفتح على الصبى ، قال تعالى : ﴿ **وَاللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالأَبْصَارَ وَالأَفْئِدَةَ** ﴾ [النحل : ٧٨] يولد الإنسان وهو مزود بأعضاء صوتيه ، وجهاز عصبى ، وقدرة كامنة على النطق ، ومعرفة اللغة ، وقد ذهب بعض الباحثين إلى أن الجهاز الصوتى للطفل يكون قادراً على العمل قبل مولده بثلاثة أشهر ، وأولى الحواس عملاً هى حاسة السمع ، ولذلك فلا غرابة أن وجهنا الإسلام إلى أهمية الأذان فى أذنه اليمنى وإقامة الصلاة فى أذنه اليسرى ليكون أول ما سمعه عند خروجه للدنيا ذكر الله ، وآخر ما يتلفظ به وهو خارج من الدنيا : لا إله إلا الله .

روى أبو داود والترمذى عن أبى رافع : « **أذَّن النبى ﷺ فى أذن الحسن**

بن عليّ حين ولدته فاطمة » [١] ، وفى الصحيحين عن أبى موسى : « **ولد لي غلام فأتيت النبى ﷺ فسماه إبراهيم وحنّكه بتمرة »** [٢]، وزاد البخارى : « **ودعا له بالبركة** » .

وقد استحب السلف الصالح الفتح على الصبى بكلمة الحمد ، فإذا ما طرق سمعه – وهو الحاسة الأولى التى تعمل بكفاءة – تكبير الله تعالى، والشهادة ووحدانية الله وكلمة الحمد ، يرجى للطفل سلامة النطق وصلاح الحال .

المسألة الرابعة : تتعلق بالبكاء والمناغاة :

خلال الشهور الأولى من عمر الطفل يكون الصراخ والصياح وسيلة للتعبير عن حالة الطفل ، وبالملاحظة الدقيقة تستطيع الأم أن تعرف نوع بكاء الطفل ، وهل هو بكاء ألم أو بكاء جوع أو بكاء رضا ؟ ، وهذا النوع الأخير يساعد الطفل على تدريب أعضائه الصوتية وعلى التنفس والإخراج ، لذا فالطفل الذى يبكى أحسن ممن لا يبكى ، وينبغى ملاحظة البكاء ومعرفة أسبابه ، لأنه قد يكشف أموراً كالصمم أو البكم ، ولا ينبغى تعجل نطق الطفل بحروف أو كلمات ، كما لا يصح كف الطفل أو نهره حينما يلعب بصوت مرتفع ، لأن هذا الصوت بمثابة التدريب للأجهزة الصوتية ، وعلى الوالدين بصفة عامة والأم بصفة خاصة أن تناغى طفلها وتتحدث إليه ، وتكرر له الأصوات وتبتسم فى وجهه كنوع من التعزيز ، وتشير الدراسات إلى أن النطق قد يتأخر عن الشهرين الأخيرين من السنة الأولى ، ليصل إلى ١٥ شهراً أحياناً ، ولا قلق فى ذلك وقد يتأخر نطق الكلمات عند ضعاف العقول ليصل إلى ٣٨ شهراً ، والكلام يبدأ بطيئاً ثم يزداد سرعة بنسبة كبيرة بعد ذلك .

---

(١) أبو داود (٤٩٤١) الأدب ، الترمذى (١٤٣٦) الأضاحى .
(٢) البخارى (٥٧٣٠) مسلم (٣٩٩٧) الأدب .

المسألة الخامسة : دراسة طريقة الرضيع لتوجيهها إسلامياً :

جاء فى كتاب [لغة الطفل] ص ٢٥ ما يأتى : « أجرت د . رسمية على خليل دراسة تتبعية لتوجيه الطفل الحضين إسلامياً ، وهى دراسة فريدة ومثيرة وطريفة فى خطواتها ونتائجها ... وكانت نتائج هذه الدراسة كما يلى :

- كانت الرضاعة الطبيعية من أكثر المواقف عوناً للأم على بدء توجيهها الإسلامى .
- كان النوم تالياً للرضاعة فى الترتيب من حيث أهميته فى عملية الإتصال بين الأم والحضين .
- كان كلما علا صوت الطفل علا صوت الأم بقراءة القرآن ، ومع قراءة الآيات يصمت الحضين فجأة متأملاً ، ثم يهدأ وينام نوماً عميقاً .
- عند بدء الكلام علمت الأمهات الحضين بعض الأدعية البسيطة وكلمات مثل : الله أكبر .
- استطاعت الأمهات تعليم أطفالهن آداب الطعام ، ومنها غسل اليدين ، والتسمية ، والأكل باليمنى ، وقوله « الحمد لله » ... وغير ذلك .
- كانت البنات أسرع استجابة ، وتكلمن مبكراً ، حفظن أجزاء من الأدعية ورددتها .
- زادت حصيلة الأمهات من الثقافة الإسلامية .
- كان الحضين يتابع أمه وهى تقرأ، ويكف عن الرضاعة فترة ، ثم ينظر إلى أمه ويتابعها ثم يواصل رضاعته فى سرور .

ومن هنا فالرضاعة موقف كلى متكامل ، حيث تعطى الأم جرعات الحب والحنان إلى جانب اللبن ، وتعلم الطفل من خلالها كل سلوك طيب ، وهو موقف ينمى الإنتماء والإرتباط والطمأنينة وهذه نتائج طيبة للغاية ، وتؤكد أهمية دور الأم ، وأهمية تدريبها وأهمية توجيهها لطفلها إسلامياً ، ثم أبرزت

النتائج التدريب الذى حدث للسمع والبصر والفؤاد واللسان ، وما تم من جعل القرآن والسنة محوراً لحياة الطفل والأم ، ووعى الطفل المتزايد بكثير من آداب الحياة الإسلامية قولاً وعملاً » أ . هـ .

فوائد الرضاعة الطبيعية :

تعتبر الرضاعة الطبيعية من أهم أسباب وقاية المولود من الأمراض ، حيث يمتاز لبن الأم بأنه يحتوى على المضادات الحيوية التى تقوى مناعة الطفل ضد الميكروبات كما أنه أيسرهما ، وأكبر قيمة غذائية من الألبان الحيوانية ، ثم أنه لا يحتاج إلى غليان قبل استعماله ولا يُخشى عليه من التلوث ، كما أنه بمثابة وقاية من مشاكل الإسهال والجفاف والحميات وعلاج لمشكلة التمثيل الغذائى ، وثدى الأم يعتبر علاجاً لمشاكل الحساسية وسوء التغذية ، وقد أباح الشرع للمرضع الفطر فى رمضان إن خافت على نفسها أو على رضيعها ، ولكثرة فوائد لبن الأم أُنشئت فى مصر جمعية [أصدقاء لبن الأم] .

وفائد الرضاعة الطبيعية لا تقتصر على المولود ، فقد ثبت أن نسبة المصابات بمرض سرطان الثدى تزداد بين غير المرضعات ، ونادراً ما تصاب التى تُرضع رضاعة طبيعية بهذا المرض ، كما أن الرضاعة تنظم حمل الأم وتساعد أجهزتها على استعادة وضعها ونشاطها وتُفجر ينابيع العاطفة والحنان عندها ، وهذا له أثره الكبير على تربية الطفل .

المسألة السادسة : مداعبة الطفل وأثرها على جهازه العصبى :

كان النبى ﷺ يُقبل الحسن والحسين ويحملهما على ظهره الشريف كما كان يحمل أُمامة بنت زينب فى صلاته ، إن قام رفعها ، وإن ركع وضعها ، وقال للأقرع بن حابس : « **من لا يرحم لا يُرحم** » [(١)] ، وذلك عندما قال

---

(١) الترمذى (١٨٣٤) البر والصلة ، وقال : حسن صحيح .

الأقرع ، إن لى عشرة من الولد ما قبلت واحداً منهم ، وقد رجع ﷺ من غزوة تبوك وهو يحمل الصبيان خلفه .

إن حاجة الطفل إلى العاطفة والمداعبة والتقبيل أكثر من حاجته للعب ، ويزداد حب الطفل للعب بتقدم العمر ، وينبغى توجيه الطفل أثناء اللعب لحد من الإنفعال أو الإرهاق ولا بأس بالإنشاد للطفل ، فالإنشاد حسنه حسن ، وقبيحه قبيح . وقد أثبتت الأبحاث أن الطفل المحروم من مثل هذه المداعبات يكون عصبى المزاج عدوانى الطبع ، يميل إلى العزلة والحقد على الآخرين ، وتؤثر فيه هذه الناحية بقية عمره ، فلهذه السن تأثيرها العميق فى سلوكيات الطفل بعد ذلك وفى شرح حديث : « **يسروا ولا تعسروا** » بيّن الحافظ بن حجر فى [فتح البارى] أن هذا التيسير أليق بالمرأة والصغير وحدثاء العهد بمعرفة الإسلام وذلك ما لم يكن إثماً .

المسألة السابعة : أطفال الملاجئ :

الطفل الذى يجد استثارة وإهتماماً من الأسرة ينشأ سوياً ، وقد وجد أن أطفال الطبقات العليا والمتوسطة ثقافياً ، أسرع تقدماً فى اللغة من أطفال الطبقات الدنيا ، فللعوامل البيئية تأثير مهم فى تطور النمو اللغوى للطفل ، وقد أثبتت الدراسات أن أطفال الملاجئ يتأخرون عن أقرانهم فيما ينطقون به من أصوات ، من حيث الكم أو الكيف ، وأرجع الباحثون ذلك إلى ضعف التعزيز ، فعدم إثابة هؤلاء الأطفال يؤدى إلى التأخير عن أقرانهم الأسوياء ، كما أن فقدان هؤلاء الأطفال لمعانى الحنان والإهتمام يجعلهم يشبون محرومين يشعرون بالنقمة على من حولهم وتغلب على تصرفاتهم الشدة والقسوة والعنف والعناد وعدم الطاعة والتمرد ، وهى أعراض غاية فى الخطورة .

لهذا وغيره أوصى النبى ﷺ بالأيتام خيراً ، فعن سهل بن سعد رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : « **أنا وكافل اليتيم فى الجنة هكذا ، وأشار بالسبابة**

والوسطى وفرجً بينهما » [١] رواه البخارى ، وكافل اليتيم : القائم بأموره ، وعن أبى هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « **كافل اليتيم له أو لغيره أنا وهو كهاتين فى الجنة** » وأشار الراوى بالسبابة والوسطى ، رواه مسلم [٢] .

وقوله ﷺ : « اليتيم له أو لغيره » معناه : قريبه أو الأجنبى منه ، فالقريب مثل أن تكفله أمه أو جده أو أخوه أو غيرهم من قرابته ، لابد من مبادرة ومسارعة بتعاهد الأيتام هنا وهناك قبل فوات الأوان ، وإلا فالجهات التنصيرية والملاحدة وغيرهم يسعون جاهدين من أجل تغيير دينهم وطمس فطرتهم فى صورة المساعدات التى تقدم لهم .

المسألة الثامنة : مخاطبة الطفل على قدر عقله :

ترتكب خطأ فادحاً عندما تتعامل مع الصغير على أنه كبير ، يفهم ويعقل الأشياء ، بل ويلتزم بالواجبات والسنن ، وسائر الأشياء التى يلتزم بها الكبار ، فإذا تخلى عن شىء من ذلك ، كان منا الضرب والنهر الشديد إلى غير ذلك من الصور التى تدل على عدم فهم لطبيعة الطفولة فى الوقت الذى كان يجب علينا أن نتعامل معه ونخاطبه على قدر عقله ، فقد كان رسول الله ﷺ يمازح الطفل أبا عُمير ويقول : « **يا أبا عُمير ما فعل النغير** » [٣] ، ويرفض معاقبة أنس الصغير ويقول لأهله : « **دعوه فلو قدر لكان** » [٤] ويسمح لأم المؤمنين عائشة فى صغرها أن تنظر للعب الحبشة بالحراب فى المسجد ، ويقول لها : « تشتهين تنظرين » فلا يمل حتى تمل ، ولذلك تقول رضي الله عنها : « **فاقدروا قدر الجارية الحديثة السن الحريصة على اللهو** » رواه الشيخان [٥] ، وكَسَى النبى ﷺ أم خالد وكانت صغيرة قميصاً وقال : « يا أم خالد ، هذا سنا » [٦] ،

---

(١) البخارى (٥٥٤٦) الأدب .
(٢) مسلم (٥٢٩٦) الزهد والرقائق .
(٣) البخارى (٥٦٦٤) .
(٤) أحمد (١٢٩٣٨) .
(٥) البخارى (٨٩٧) ، ومسلم (١٤٨٢) .
(٦) البخارى (٥٣٩٧) .

« والسنا بلغة الحبشة الحسن » وكانت أم خالد ، قد وُلدت بأرض الحبشة .

فلابد أن يكون الحديث مع الصغير واضحاً ، وعلى قدر فهمه ، حيث لا يجب أن يكلف بما يفوق قدرته ، أو مرحلة نموه ، وإذا لم يستوعب الطفل الكلام يُعاد الأمر له فى شكل آخر وبأسلوب أبسط ، كما يجب على الوالدين ، إذا لم يفهما رسالة الطفل اللغوية أن يعيدا سؤاله مرة أخرى ليتسنى لهما فهمه، ولنحذر إهماله ، فهذا الأمر له مردود سيء على الطفل ، وعلينا أن نكف عن محاولاتنا جعل الطفل يفكر بعقولنا ، ويتصرف بمنطق الكبار ، لأن هذا سيجعل الطفل موضوعاً فى إطار ليس إطاره ، فعالم الطفل فى مرحلة من المراحل ، يموج بالخيالات ، فالعصا فى يده تتحول إلى سيارة تجرى وتقف وتصطدم ، فلا داعى لوصفه بالجنون ، بل لابد من تقدير المرحلة التى يمر بها ومعرفة طبيعة تفكيره فيها ، حتى لا نوجد عنده طبع التمرد والمشاكسة والعناد .

[١٤] نصائح وإرشادات للخروج من هذه الإشكالية :

سبحان من نوع على الخلق أحكامه ، فجرى عليهم قضاؤه وقدره وهم فى بطون أمهاتهم، ثم يخرج الصغير من بطن أمه فيتوجه الخطاب إلى والديه أو من يقوم أمره ، ثم يكبر شيئاً فشيئاً حتى يبلغ ويجرى عليه قلم التكليف ، ولما كان فساد الإنتهاء من فساد الإبتداء ، إلا أن يتداركنا ربنا برحمته ، ولما كانت سعادة الدارين مرتهنة بالإستقامة على شرع الله ، ولما كانت الطفولة البريئة وديعة وأمانة بين أيدينا ، كان لزاماً علينا أن نتعاهدها ونحسن تربيتها قدر الإستطاعة ، وإلا فقلوبنا وقلوب أبنائنا ملك لله يصرفها كيف يشاء ، فضلاً وعدلاً ، إذ لا ظلم بين العباد فى الدنيا ولا فى الآخرة .

فإذا أردنا تنشئة جيل مسلم ، يسعد فى خاصة نفسه وتسعد به الدنيا من حوله ، ويواصل مسيرة العمل لرفعة هذا الدين والتضحية فى سبيله ، وبذل الغالى والرخيص من أجله ، فلا سبيل إلا بالعودة لكتاب الله وسُنة رسول الله

ﷺ ، فهذا هو المخرج من هذه الإشكالية والعلاج لهذه الأزمة التى نحن فيها ، وإليك بعض النصائح والإرشادات التى تعينك على ذلك بإذن الله :

١ - احفظ الله يحفظك في ولدك :

عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : « كنت خلف النبى ﷺ يوماً فقال لى : « **يا غلام إنى أعلمك كلمات : احفظ الله يحفظك ، احفظ الله تجده تجاهك إذا سألت فاسأل الله ، وإذا استعنت فاستعن بالله ، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشئ قد كتبه الله لك ، وإن اجتمعوا على أن يضروك بشيء ، لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك ، رُفعت الأقلام وجفت الصحف** »[(١)] ، رواه الترمذى وقال : حديث حسن صحيح وفى رواية غير الترمذى : « **احفظ الله تجده أمامك ، تعرَّف إلى الله فى الرخاء يعرفك فى الشدة ، واعلم أن ما أخطأك لم يكن ليصيبك وما أصابك لم يكن ليخطئك ، واعلم أن النصر مع الصبر ، وأن الفرج مع الكرب وأن مع العسر يسرا** »[(٢)] .

فمن حفظ حدود الله وحقوقه وأوامره ونواهيه حفظه الله فى ولده ونفسه ، فى حياته وبعد مماته ، فالجزاء من جنس العمل ، قال سعيد بن المسيب لابنه : لأزيدن فى صلاتى من أجلك رجاء أن أُحفظ فيك ، ثم تلا هذه الآية : ﴿ وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا ﴾ [الكهف : ٨٢] ، قيل : حُفظ الأبناء بصلاح أبيهما ، وقال عمر بن عبد العزيز : ما من مؤمن يموت إلا حفظه الله فى عقبه وعقب عقبه ، وقال ابن المنكدر : إن الله ليحفظ بالرجل الصالح ولده وولده وولده والدويرات التى حوله فما يزالون فى حفظ الله وستره .

ومتى كان العبد مشتغلاً بطاعة الله فإن الله يحفظه فى تلك الحال ، وهذا

---

(١) الترمذى (٢٤٤٠) فى صفة القيامة والرقائق والورع .

الأصل الذى ذكرناه لا يمنع وجود بعض الشذوذات على سبيل الإستثناء كأن يكون الأب مؤمناً والابن كافراً ، كحالة كنعان بن نبى الله نوح عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام ، فاجتهد فى طاعة ربك ، ولا تدخر وسعاً وخصوصاً والغربة شديدة ، فقد يحفظك الله فى نفسك وذريتك بسبب حفظك له .

٢ - الكفاءة المعتبرة في الزواج وأثرها :

الكفاءة تُعتبر بالصلاة والتقى والحرص على طاعة الله ، فقد كانت السيدة عائشة رضى الله عنها تقول: النكاح رق فلينظر أحدكم عند من يسترق كريمته، ولما سئل الحسن مَنْ أزوج ابنتى قال : زوجها التقى النقى ، فإن أحبها أكرمها وإن أبغضها لم يُهنها ، فمن زوج ابنته من فاسق فقد قطع رحمها ، ومن ذلك تدرك مدى الجناية التى تلحق البنات والذرية بسبب سوء الإختيار ، والإقتصار على البحث عن الشقة والراتب، دون التفات لمعانى الديانة والصلاح، وقد كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يبعث لولاته ويقول لهم : ألا إن أهم أموركم عندى الصلاة ، ألا أنه لا حظ فى الإسلام لمن ضيع الصلاة ، وكان يقول : من ضيعها فهو لما سواها أضيع ، فهل نستغرب إذا ضاع الأبناء بسبب فساد أبيهم ؟ فلا يكون الفاجر والفاسق كفؤاً لعفيفة صالحة ، وقد أضاف جمهور العلماء أموراً أخرى وهى المنصب أو النسب فلا يكون الأعجمى « وهو من ليس من العرب » كفؤاً لعربية ، والحرية فلا يكون العبد كفؤاً لحرة ، والصناعة أو الحرفة فلا يكون صاحب صناعة دنيئة كفؤاً لبنت من هو صاحب صناعة جليلة ، واليسار أو الغنى ، فلا يكون العسر كفؤاً لموسرة ، ويحرم تزويج المرأة بغير كفء إلا برضاها ، وكل ذلك فى الرجل أما المرأة فليست الكفاءة شرطاً فى حقها كالرجل ، وذكر الشافعية أن غير المنتسب إلى العلماء والصلحاء والمشهورين ليس كفؤاً للمنتسب إليهما وليس المحترف كفؤاً لبنت العالم .

٣ - الحث على اكتساب الأولاد وسببه :

أخرج مسلم عن أبى هريرة رضي الله عنه عن النبى ﷺ قال : « **إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاث : صدقة جارية ، أو علم ينتفع به ، أو ولد صالح يدعو له** »[(١)] ، فالأبناء من كسب الأباء ، ومن جملة آثارهم وذلك لقوله تعالى : ﴿ **وَأَن لَّيْسَ لِلإِنسَانِ إِلاَّ مَا سَعَىٰ** ﴿٣٩﴾ ﴾[النجم : ٣٩] ، وقوله سبحانه : ﴿ **وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَارَهُمْ** ﴾ [يس : ١٢] .

فالأب عندما يُحسن تربية ابنه ، يكون عمله الصالح فى ميزان أبيه ، إذ هو المتسبب فيه ، أما عمله السيء فمردود عليه ، طالما قام الوالد بالواجب عليه نحوه وذلك لقوله سبحانه : ﴿ **وَلا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ** ﴾[الإسراء : ١٥] ومن هنا تدرك قيمة الولد الصالح ، فصلاحه لا يقتصر على شخصه ، بل يتعداه لوالديه ، قال تعالى حاكياً عن نبيه زكريا : ﴿ **وَزَكَرِيَّا إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ رَبِّ لا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ** ﴿٨٩﴾ ﴾[الأنبياء : ٨٩] يعنى لا تذرنى وحيداً لا ولد لى ، وقال النبى ﷺ : « **تناسلوا تكاثروا فإنى أباهى بكم الأمم يوم القيامة** » رواه عبد الرازق فى مصنفه[(٢)] .

وقال ﷺ : « **إن أطيب ما أكل الرجل من كسبه ألا وإن ولده من كسبه** » رواه ابن ماجه والنسائى وأحمد والبيهقى[(٣)] ، وقال عمر رضي الله عنه : إنى لأكره نفسى على الجماع رجاء أن يخرج الله نسمة تسبحه وتذكره . وقال : « تكثروا من العيال فإنكم لا تدرون ممن ترزقون » .

وذهب أبو حنيفة رحميه الله إلى أن الإشتغال بالنكاح أفضل من التخلى لنقل العبادة من حيث أن يفضى إلى الولد الذى به بقاء العالم إلى الأمد الموعود ، وعود مصلحة الولد إلى الوالد حيّاً وميتاً بنصره لوالده فى حال حياته ،

---

(١) مسلم (٣٠٨٤) الوصية . (٢) عبد الرزاق فى مصنفه .
(٣) ابن ماجه (٢١٢٨) والنسائى (٤٣٧٣) وأحمد (٢٢٩٠٤) والبيهقى .

والنفقة عليه على تقدير الحاجة إليه وإمداده إياه بأنواع الثواب بعد وفاته من الدعاء والصدقة والترحم عليه بسببه ، وروى البخارى فى [الأدب المفرد] عن أبى هريرة رضي الله عنه قال : « **ترفع للميت بعد موته درجته فيقول أى ربى ، أى شيء هذا ؟ فيقول له : ولدك استغفر لك** » [١] .

٤ - معنى الأولاد عدو لكم والتحذير منهم :

الأولاد زينة وخصوصاً إذا صلحوا وذلك لقوله سبحانه : ﴿ **الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا** ﴾ [الكهف : ٤٦] ، وهم أيضاً فتنة : ﴿ **إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلادِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ** ﴾ [التغابن : ١٤] .

وفى الحديث : « **الولد مبخلة مجبنة مجهلة** » رواه ابن ماجه [٢] ، وقال فى الزوائد : إسناده صحيح ، رجاله ثقات .

ويقال : الولد إن عاش كدّك « أتعبك » وإن مات هدّك ، وقيل لإنسان : إن فلاناً تزوج ، فقال : ركب البحر ، فقيل : وقد جاءه ولد ، فقال : وكسر به المركب ، وقال رجل لعمر بن الخطاب رضي الله عنه : خدمك بنوك ، فقال : بل أغنانى الله عنهم ، ونظر عمر رضي الله عنه إلى رجل يحمل ابناً على عاتقه فقال : ما هذا منك ؟ قال : ابنى قال : أما إنه إن عاش فتنك وإن مات حزنك . قال الحسن : إذا أراد الله بعبد خيراً لم يشغله فى دنياه بأهل ولا ولد .

ورأى ضرار بن عمرو الضبى من ولده ثلاثة عشر ذكراً فقال : من سره بنوه ساءته نفسه . قال زيد بن علي لابنه : يا بنى إن الله لم يرضك لى فأوصاك بى ورضينى لك فحذرنيك ، وولد للحسن غلام فهنئ به فقال : الحمد لله على كل حسنة ونسأل الله الزيادة فى كل نعمة ، ولا مرحباً بمن إن كنت عائلاً أنصبنى وإن كنت غنياً أذهلنى ، لا أرضى بسعيى له سعيا ، ولا بكدى له فى

---

(١) رواه البخارى فى الأدب المفرد .
(٢) ابن ماجه(٣٦٥٦) الأدب .

الحياة كدّاً حتى أشفق له من الفاقة بعد وفاتى وأنا فى حال لا يصل إلىّ من غمه حزن ولا من فرحه سرور ، وسئل فيلسوف : لمَ لا تطلب الولد ؟ فقال : محبتى للولد ، وقيل للآخر : لو تزوجت فكان لك ولد تذكر به ، فقال : والله ما رضيت الدنيا لنفسى فأرضاها لغيرى . وقيل لبعض الأعراب : لم لا تتزوج ؟ فقال : مكابدة العزوبة أصلح من الإحتيال لمصلحة العيال . وقيل لأعرابى : لِمَ أخرّت التزويج إلى الكبر ؟ فقال : لأبادر ولدى باليتم قبل أن يسبقنى بالعقوق .

ومهما يكن من أمر فالزواج هو سُنة النبى ﷺ ، بل هو من أعظم السنن المؤكدة ، وما وافق الحق قُبل وما خالفه رُدَّ على صاحبه كائناً من كان ، والحق ما وافق الكتاب والسُنة ، وعلينا أن نسأل الله من فضله ، وأن نتعوذ من الفتن ما ظهر منها وما بطن .

٥ - لن يهلك مع الدعاء أحد :

لابد وأن تستشعر أنه لا حول ولا قوة إلا بالله ، وأن الأسباب التى نأخذ بها فى تربية أولادنا ، وإيجاد الجيل المسلم الصالح ، هى من فضل الله علينا وتحتاج إلى توفيق ورحمة لكى تؤتى ثمارها ، ولا أفضل من أن نطرح أنفسنا بين يدى ربنا فى تذلل وخضوع عساه يجبر كسرنا ويرحم ضعفنا ويحفظنا وذريتنا ، فقد أمرنا سبحانه بالدعاء ووعدنا الإجابة فقال : ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ ﴾ [غافر : ٦٠] .

وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول : إنى لا أحمل هم الإجابة ولكن أحمل هم الدعاء ، فإن العبد إذا أُلهم الدعاء فإن الإجابة معه . فلتكثر من الدعاء لأولادك بالإستقامة والصلاح ، فمن دعاء المؤمنين ﴿ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا (٧٤) ﴾ [الفرقان : ٧٤] ، واحرص على الأخذ بأسباب إجابة الدعاء كتكرير الدعاء والإلحاح على الله بالطلب وتقديم الثناء على الله والصلاة على رسول الله ﷺ والإعتراف بالذنب

والتقصير على النفس وإخراج صدقة بين يدى الدعاء ، ورفع اليدين واستقبال القبلة وإظهار الضراعة والتذلل وتطييب المطعم والمشرب والملبس ، وأن تكون على طهارة تامة وترد الحقوق لأصحابها وتتحين وقتاً من أوقات الإجابة كالسجود ودبر الصلاة وثلث الليل الآخر وبين الأذان والإقامة وفى الساعة الأخيرة من يوم الجمعة ... وتدعو وأنت موقن بالإجابة مع حضور قلبك ، ولا تدع بإثم أو قطيعة رحم ، ولا تمتنع من الدعاء لما تعلمه من نفسك ، فالدعاء هو العبادة وقد أجاب ربنا دعاء شر الخلق إبليس حين دعاه ﴿ رَبِّ فَأَنظِرْنِي إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ (٣٦) ﴾ [الحجر : ٣٦] ، فقال عز وجل : ﴿ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ (٣٧) إِلَىٰ يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ (٣٨) ﴾ [الحجر : ٣٧ ، ٣٨] ، واعلم أنه لن يهلك مع الدعاء أحد ، فإذا كنت حريصاً على الولد الصالح فلا تغفل عن الدعاء وانتبه لهذه السنن :

• أذكار البناء :

عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما عن النبى ﷺ قال : « **إذا تزوج أحدكم امرأة ، أو اشترى خادماً ، فليقل : اللهم إنى أسألك خيرها وخير ما جبلتها عليه ، وأعوذ بك من شرها وشر ما جبلتها عليه ، وإذا اشترى بعيراً ، فليأخذ بذروة سنامه وليقل مثل ذلك** » رواه أبو داود ومالك ، وحسنه الألبانى [1] .

• أذكار الجماع :

عن ابن عباس رضى الله عنهما عن النبى ﷺ قال : « **لو أن أحدكم إذا أتى أهله قال : بسم الله ، اللهم جنبنا الشيطان ، وجنب الشيطان ما رزقتنا ، فقضى بينهما ولد ، لم يضره الشيطان أبداً** » متفق عليه [2] ، وروى عبد

---

(١) أبو داود (١٨٤٥) ، مالك (١٠٠٤) .
(٢) البخارى (٥٩٠٩) ، مسلم (٢٥٩١) .

الرزاق عن الحسن قال : يقال ، إذا أتى الرجل أهله فليقل : بسم الله ، اللهم بارك لنا فيما رزقتنا ولا تجعل للشيطان نصيباً فيما رزقتنا ، قال : فكان يرجى إن حملت أو تلقت أن يكون ولداً صالحاً » .

• الدعاء حال الحمل :

قال تعالى : ﴿ هُوَ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا فَلَمَّا تَغَشَّاهَا حَمَلَتْ حَمْلاً خَفِيفًا فَمَرَّتْ بِهِ فَلَمَّا أَثْقَلَت دَّعَوَا اللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ آتَيْتَنَا صَالِحًا لَّنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ (١٨٩) ﴾[الأعراف : ١٨٩] .

• الدعاء بعد الولادة بالبركة :

عن أبي موسى رضي الله عنه قال : « **ولد لي غلام فأتيت به النبي ﷺ فسماه إبراهيم وحنكه بتمرة ودعا له بالبركة ، ودفعه إليّ** » [١] ، متفق عليه ، وقالت عائشة رضي الله عنها : « **كان رسول الله ﷺ يؤتى بالصبيان فيدعو لهم بالبركة ويحنكهم** » [٢] رواه أبو داود وقال الألباني : إسناده صحيح على شرط الشيخين .

• الدعاء للأطفال :

أخرج البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : « ضمني رسول الله ﷺ إلى صدره وقال : « **اللهم علمه الحكمة** » [٣] ، وفي رواية : « **علمه الكتاب** » وأخرج الشيخان والترمذي عن أنس رضي الله عنه قال : قالت أم سليم : يا رسول الله خادمك أنس ادع الله له ، **فقال** : « **اللهم أكثر ماله وولده وبارك فيما أعطيته** » [٤] ، وروى مسلم **أن النبي ﷺ كان إذا استوى على بعيره**

---

(١) سبق تخريجه .
(٢) أبو داود (٤٤٤٢) الأدب .
(٣) البخاري (٣٤٧٣) المناقب .
(٤) البخاري (٥٨٥٩) مسلم (١٠٥٥) الترمذي (٣٧٦٤) .

خارجاً إلى سفر كبر ثلاثاً ثم قال : « **سبحان الذى سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين وإنا إلى ربنا لمنقلبون ، اللهم إنا نسألك فى سفرنا هذا البر والتقوى ، ومن العمل ما ترضى ، اللهم هوّن علينا سفرنا هذا ، واطوِ عنا بُعدَه ، اللهم أنت الصاحب فى السفر والخليفة فى الأهل ، اللهم إنى أعوذ بك من وعثاء السفر وكآبة المنظر ، وسوء المنقلب فى المال والأهل والولد** » [(١)] .

● **التحذير من الدعاء على الولد** :

دعاء الوالد لولده من الدعاء المستجاب ، ومهما كان بالابن من عوج وبأحواله من شر وفساد فلو دعونا الله له ، كان خيراً كثيراً ، ولكن البعض والأمهات بصفة خاصة يعجلن بالدعاء عليه ، فيتضرر هو ونتأذى نحن كما فى دعاء أم جريج « المتعبد » عليه أن لا يموت حتى ينظر فى وجوه المياماس [(٢)] ، فما مات حتى رءآهن .

وقد ورد النهى عن رسول الله ﷺ فى الدعاء على الأبناء ، ففى الحديث : « **لا تدعوا على أنفسكم ولا تدعوا على أولادكم ولا تدعوا على خدمكم ولا تدعوا على أموالكم ، لا توافقوا من الله ساعة فينزل فيها إعطاءٌ فيستجاب لكم** » رواه أبو داود [(٣)] ، وجاء رجل إلى عبد الله بن المبارك يشكو له عقوق ولده فقال له : هل دعوت عليه ، فقال : بلى ، فقال عبد الله بن المبارك : أنت أفسدته « أى بسبب الدعاء عليه » ، وقد ورد الدعاء للكافر بالهداية ونحوها كما فى دعاء النبى ﷺ لأم أبى هريرة وقوله ﷺ : « **اللهم اهد دوساً وائت بهم** » ، فيا ليتنا بدلاً من الدعاء على الأبناء ندعوا الله لهم بالهداية وصلاح الحال فى الدنيا والآخرة ، وإلا فعائد ذلك قد يرجع علينا ، إن خيراً فخير وإن شراً فشر .

---

(١) مسلم (٢٣٩٢) . (٢) المياماس : الزانيات . (٣) أبو داود (١٣٠٩) .

٦- اختيار الزوجة :

عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال : « **الدنيا متاع وخير متاعها المرأة الصالحة** »[١] ، رواه مسلم ، وروى ابن ماجه عن أبى أمامة رضي الله عنه عن النبى ﷺ أنه كان يقول : « **ما استفاد المؤمن بعد تقوى الله عز وجل خيراً له من زوجة صالحة ، إن أمرها أطاعته ، وإن نظر إليها سرته وإن أقسم عليها أبرته وإن غاب عنها نصحته فى نفسها وماله** »[٢] .

وفى الحديث : « **ثلاثة من السعادة : المرأة الصالحة تراها تعجبك وتغيب فتأمنها على نفسها ومالك ، والدابة تكون وطيئة فتلحقك بأصحابك ، والدار تكون واسعة كثيرة المرافق ، وثلاثة من الشقاء : المرأة تراها فتسوؤك وتحمل لسانها عليك وإن غبت عنها لم تأمنها على نفسها ومالك ، والدابة تكون قطوفاً فإن ضربتها أتعبتك وإن تركتها لم تلحقك بأصحابك ، والدار تكون ضيقة قليلة المرافق** » رواه الحاكم[٣] .

والأولى أن تكون الزوجة ، بكراً ولوداً ، نسيبة « ذات أصل وعراقة » ذات عقل وجمال ، والتى ليست بقرابة قريبة أولى « لحماية النسل من الضعف » ، ومن ترك هذه الصفات لعذر ولغير عذر فالأمر جائز ولا حرج عليه ، وينبغى أن تكون المرأة ذات دين ، ففى الحديث : « **تُنكح المرأة لأربع : لمالها ولحسبها ، ولجمالها ولدينها ، فاظفر بذات الدين تربت يداك** » رواه البخارى ومسلم[٤] ، وظاهر الحديث إباحة النكاح لقصد كل من ذلك ، ولكن قصد الدين أولى .

ثم اعلم أنه ما خاب من استخار الخالق واستشار المخلوق ، وخطورة الزوجة التى ستصير أماً بعد ذلك تكمن فى تعلق الأولاد بها ، فهى المدرسة التى سيخرجون منها ، فإن كانت صالحة أرضعتهم الصلاح والتقوى قبل أن

---

(١) مسلم (٢٦٦٨) .
(٢) ابن ماجه (١٨٤٧) .
(٣) رواه الحاكم .
(٤) البخارى (٤٧٠٠) النكاح ، مسلم (٢٦٦١)

ترضعهم لبنها ، هذه الزوجة التى تعرف حق ربها وحق زوجها وحق ولدها ، وتؤدى رسالتها على خير وجه هى من أعظم أسباب إيجاد الجيل المسلم والمحافظة على استمرارية هذه الدعوة .

نساء فضليات :

الأم لها أثر بالغ فى حياة طفلها ، وقد عرفت الدنيا أفذاذاً من الرجال وقفت خلف كل منهم أم فذة لم تكن همتها فى الرقص والغناء ومتابعة الموضات وارتياد شواطئ البحر ودور السينما والمسرح واللهو والفجور ومن جملة هؤلاء : هند بنت عتبة رضى الله عنها ، فقد كانت تحمل معاوية بن أبى سفيان رضي الله عنه يوماً بين يديها فقال لها أحد أقاربها : إن عاش معاوية ساد قومه ، فأجابته : ثكلته إن لم يَسُد إلا قومه ، وكان معاوية رضي الله عنه إذا نوزع الفخر قال : أنا ابن هند .

والفارق كبير بين تربية السادة وتربية العبيد ، لقد وجدت أجيال تربت على سموم الفرعونية والوطنية والقومية والإشتراكية والديمقراطية ، ولم تعرف شيئاً عن دينها لم تعرف إلا مجرد التفنن فى الأطعمة والأشربة وإضاعة الأوقات فى العبث والخلاعة ، فهل نستغرب إذا ذاقوا مرارة الهزيمة وأصبحوا فى ذيل الأمم ؟! ، ولننظر إلى سفيان الثورى الذى قال عنه البعض : الثورى سيد المسلمين ، وقال الأوزاعى : لم يبق من تجتمع عليه الأمة بالرضا إلا سفيان .

وروى الإمام أحمد عن وكيع قال : قالت أم سفيان لسفيان : يا بنى اطلب العلم وأنا أكفيك بمغزلى ، ووعظته يوماً فقالت : يا بنى إذا كتبت عشرة أحرف فانظر هل ترى فى نفسك زيادة فى خشيتك ، وحلمك ووقارك ، فإن لم تر ذلك فاعلم أنها تضرك ولا تنفعك .

إن علو الهمة عند علماء الأمة وقادتها له أسبابه ودواعيه ، ومن أعظمها هؤلاء الأمهات الصالحات ، وهذه أم « ربيعة الرأى » شيخ الإمام مالك أنفقت

على تعليم ولدها ثلاثين ألف درهم تركها لها زوجها وخرج إلى الغزو ، وكان ربيعة إذ ذاك حملاً فى بطن أمه ، ولم يرجع والده إلا بعد أن صار رجلاً عالماً يجتمع فى حلقته مالك والحسن وأشرف أهل المدينة ، فإذا أردنا النهوض بهذه الأمة والمحافظة على ديننا فعلينا بمزيد الإهتمام بالمرأة فى كل مراحلها سواء كانت بنتاً أو زوجة أو أماً .

٧ - أثر المعاشرة في سلوك الطفل :

جعل سبحانه من ثمار الزواج حصول المودة والرحمة فقال تعالى : ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ إِذَا أَنتُم بَشَرٌ تَنتَشِرُونَ (٢٠) وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ﴾[الروم : ٢١] وهذا من شأنه أن يتحقق بكماله إذا استقام الزوج وزوجه على كتاب الله وسُنة رسول الله ﷺ ، مما يعود أثره بالقطع على نشأة الأولاد ، فالابن الذى يشاهد والده وهو يحرص على تحقيق معنى الخيرية فى نفسه مصداق قول رسول الله ﷺ : « **خيركم خيركم لأهله وأنا خيركم لأهلى** » (١) رواه ابن حبان ، ويحفظ وصية رسول الله ﷺ فى زوجه : « **استوصوا بالنساء ، فإن المرأة خُلقت من ضلع وإن أعوج ما فى الضلع أعلاه ، فإن ذهبت تقيمه كسرته ، وإن تركته لم يزل أعوج ، فاستوصوا بالنساء** » البخارى ومسلم (٢) .

وفى الحديث : « **أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خُلقاً وخياركم خياركم لنسائهم** » (٣) ، رواه الترمذى وابن حبان ، وفى الحديث أيضاً: « **لا يفرك - لا يبغض - مؤمن مؤمنة إن كره منها خُلقاً رضى منها آخر** » رواه مسلم (٤) .

ويقوم على تأكيل أمرأته ويهاديها لقول رسول الله ﷺ : « **اللقمة يضعها**

---

(١) رواه ابن حبان .
(٢) البخارى (٣٠٩٤) مسلم (٢٦٧١) الرضاع .
(٣) الترمذى (١٠٨٢) الإيمان ، وابن حبان .
(٤) مسلم (٢٦٧٢) الرضاع .

الرجل فى فيّ امرأته يكتب له بها أجر »[١] .

ليس شتاماً ولا سباباً ولا فاحشاً بذيئاً ، إن دخل فهد وإن خرج أسد ، ولا يسأل عما عهد كما ورد فى الصحيح ، فلا يسأل عن اليسير من الأمور فإن التنقيب عن كل كثير وحقير من أخلاق أهل الحرص والشح والتنكير ، بل هو يكثر التغافل والمسامحة والحياء فيما هو من أمر المعايش ، وأما فى أمر الدين والعرض فهو يقوم لله بحقه فلا يتهاون ولا يتغافل لا سيما عن الواجبات عندما يرى الابن أباه وهو يُحسن المعاشرة لأمه ويتقى الله فيها ، ويرى أمه وهى تسمع وتطيع لزوجها فى غير معصية الله تعالى ، وتتقى الله فيه ، وتصون حرمته وتؤدى حقوقه ، فإن ذلك له أكبر الأثر فى النشأة السوية للطفل ، وعلى العكس والنقيض يكون الأمر عندما لا يرى الابن إلا العراك والشتائم والتفريط المتبادل ، وقد يصل الأمر إلى خراب البيت وحدوث الطلاق وضياع الأولاد فى الدنيا والآخرة إلا من رحم الله .

٨ - أحسن فيُحسن الله إليك :

وذلك لأن الجزاء من جنس العمل ، وقد قال تعالى : ﴿ **مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ (٤٦)** ﴾ [فصلت : ٤٦] ، فأحسن إلى والديك وصاحبهما فى الدنيا معروفاً فقد أمرك ربك بذلك ﴿ **وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا** ﴾ [الإسراء : ٢٣] ، وقال عز وجل : ﴿ **وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا** ﴾ [النساء : ٣٦] ﴿ **فَلَا تَقُل لَّهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا (٢٣) وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا (٢٤)** ﴾ [الإسراء : ٢٣ ، ٢٤] .

---

(١) البخارى (٤٩٣٥) ، مسلم (٣٠٧٦) .

واعلم أن من عق والديه عقه أولاده ، رؤى شاب يضرب رجلاً فأراد الناس تخليصه ، فقال الرجل : اتركوه قد كنت أضرب أبى فى نفس هذا المكان .

نصح الأخ الأصغر أخاه الأكبر ، وكلاهما متزوج وله أولاده بأن يمكث مع أولاده ولا يكثر من زيارة والديه خشية نسبته للتقصير فى حق أولاده ، فرد عليه الأخ الأكبر قائلاً : إن أولادى لن يضيعوننى بإذن الله ، لأنهم يعلمون أنى أبر والدىّ ، لقد كان ذلك درساً بليغاً بالنسبة لى وأنا أشاهده ، فإن الله لا يضيع أهله .

فأحسن يا عبد الله إلى الوالدين والأهل والأقارب والجيران والإخوان ، وإلى كل من حولك سواء كنت فى بيتك أو فى عملك وسوقك ، أو هنا أو هناك وأد لكل ذى حق حقه ، فإن لربك عليك حقاً ولنفسك عليك حقاً ولأهلك عليك حقاً ولولدك عليك حقاً ، واحذر من أن تكون ممن عق أطفاله صغاراً فعقوه وهو كبير ، واعلم أن الولد هو عملك وكسبك ، وتوسم الخير إذا أحسنت ﴿ هَلْ جَزَاءُ الإِحْسَانِ إِلاَّ الإِحْسَانُ (٦٠) ﴾ [الرحمن : ٦٠] .

٩ - حقوق الأطفال في إعلان الأمم المتحدة :

وافقت الجمعية العامة للأمم المتحدة على إعلان حقوق الطفل وتضمن عشرة مبادئ منها حق التسمية والأمن الاجتماعى والرعاية والعلاج ومسؤولية الوالدين وحق التعليم الإجبارى وحق اللعب والرياضة والوقاية من الأمراض والقسوة وأعمل الفساد ، ونحن كمسلمين نعتقد أن الشرع قد اكتملت فيه معالم السلوك ومناهج التربية وتكفل بإعطاء الحقوق لأصحابها ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِينًا ﴾ [المائدة : ٣] .

ولذلك فلابد من إخضاع الأمم المتحدة بجمعياتها ومؤسساتها ومبادئها وحقوقها لما جاء فى كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ جملة وتفصيلاً ، وكل ما

خالف ديننا فلابد من رفضه ورده حتى وإن سموه حقوقاً ، إذ الفارق كبير بين الصياغة الإيمانية وبين التربية الإلحادية الكفرية ، وإذا أردت مثالاً فانظر للتعليم الواجب عند المسلمين والتعليم الإجبارى فى النظم الوضعية العلمانية عند الملاحدة والزنادقة . وقبل أن نبدأ فى توضيح حقوق الطفل فى الإسلام نذكر بعض المسميات المتداولة نذكر منها الرضيع « إلى نهاية سنتين » ، والصبى غير المميز « إلى نهاية سبع سنوات » ، والصبى المميز « إلى مرحلة البلوغ أو المراهقة » ، ثم الشباب « بعد البلوغ إلى الثلاثين » والكهل « من الثلاثين إلى الخمسين » ثم الشيخ « من الخمسين إلى السبعين » والهرم « من السبعين إلى أن يموت » ويُعتبر سن ١٥ هو نهاية الطفولة .



حقوق الطفل في الإسلام

إن علاج هذه الإشكالية التى ذكرناها يكمن فى مراعاة السنن الشرعية والسنن الكونية قبل الولادة وبعدها ، فكل سنة من هذه السُنن التى دلنا عليها رسول الله ﷺ ، حتى وإن كانت مستحبة ، من شأنها أن تعالج جانباً من جوانب الغربة وفساد الحال الذى نعيشه ، وبالتالى فلا ينبغى التهاون فى ترك مستحب أو فى العمل بمكروه فضلاً عن ترك الواجبات والعمل بالمحرمات ، فهذا له أبلغ الأثر فى إفساد الناشئة ، ومن المعلوم أن النبى ﷺ ما انتقل إلى الرفيق الأعلى إلا بعد أن أكمل له ربنا الدين وأتم عليه النعمة ورضى له الإسلام ديناً ، فبلغ أمته البلاغ المبين وتركها على المحجة البيضاء ، ليلها كنهارها ، لا يزيغ عنها إلا هالك ، وهو بالمؤمنين رؤوف رحيم .

وإليك بعض صور الهدى النبوى فى التعامل مع الطفل وتربيته .

من حقوق الطفل قبل ولادته :

[أ] الزواج أو العلاقة الشرعية بين الأب والأم :

الفارق كبير بين الطفل الذى ينشأ فى حضن والديه ووسط معانى الإستقرار تغذيه المودة والرحمة ، والطفل الذى ينشأ طريداً مُبعداً منبوذاً نتيجة جريمة الزنا ، ولذلك شاع التحلل والقلق فى الحياة الغربية والأمريكية كأمر حتمى للتفلت من معانى الإيمان ، وكثرت نسبة اللقطاء ، ومن عجيب الأمر أن مقررات الأمم المتحدة لم تنص على حقوق الطفل قبل ولادته ولا سبب لذلك إلا فقدان البصيرة وإطلاق الحبل على الغارب فى صورة الحريات الشخصية العفنة .

[ب] الرباط الإيماني بين الأب والأم :

لا يجوز الزواج من ملحدة كافرة وذلك لقوله تعالى : ﴿ وَلا تَنكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ حَتَّىٰ يُؤْمِنَّ وَلأَمَةٌ مُّؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ ﴾ [البقرة :

٢٢١] ، ويجوز للرجل أن يتزوج من كتابية لقوله سبحانه : ﴿ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ ﴾ [المائدة : ٥] وإن كان الزواج من مسلمة أفضل ، فالمسلم أولى بكل خير ، أما المسلمة فلا يجوز لها الزواج من كتابى بإتفاق العلماء ، فالإسلام يعلو ولا يُعلى ﴿ وَلَن يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلاً ﴾ [النساء : ١٤١] .

وإذا تزوج المسلم من كتابية ، فينبغى أن تكون عفيفة ، وأن يعاشرها بالمعروف ولكن لا يحب ماهى عليه من دين باطل ، وتكون له القوامة عليها ، ولا يسمح لها بإفساد عقيدة أولاده ، إذ الأولاد يتبعون المسلم من الوالدين وقد رأيت فى أوروبا مفاسد كثير تنجر على الأبناء بسبب زواج الأب المسلم من الأم الكتابية ويحدث ذلك نتيجة انحراف الأب عن دينه وعدم قوامته على بيته وتحلل النساء ثم القوانين تسمح للأم بحضانة الطفل مما يُخشى عليه بسببه من التهويد أو التنصير .

[جـ] كراهة تسخط البنات :

كان من عادة أهل الجاهلية ، كراهية البنات وتسخطهن ﴿ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِالأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ (٥٨) يَتَوَارَىٰ مِنَ الْقَوْمِ مِن سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ أَيُمْسِكُهُ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ أَلا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ (٥٩) ﴾ [النحل : ٥٨ ، ٥٩] وهذه النظرة الجاهلية ، لها أثرها السيء فى معاملة البنات وتربيتهن دون ذنب أو جريرة منهن قال تعالى : ﴿ لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ يَهَبُ لِمَن يَشَاءُ إِنَاثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَاءُ الذُّكُورَ (٤٩) أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَاثًا وَيَجْعَلُ مَن يَشَاءُ عَقِيمًا إِنَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ (٥٠) ﴾ [الشورى : ٤٩ ، ٥٠] ، وقال سبحانه : ﴿ وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ (٨) بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ (٩) ﴾ .
[التكوير : ٨ ، ٩] .

روى البخارى عن ابن عمر رضي الله عنه : « أن رجلاً كان عنده بنات فتمنى موتهن فغضب ابن عمر ، فقال : أنت ترزقهن؟ » .

وقد وردت السنن برعاية البنات والقيام على شأنهن وإحسان صحبتهن ومن ذلك ما رواه مسلم عن أنس رضي الله عنه عن النبى ﷺ قال : « **من عال جاريتين** – أى بنتين – **حتى تبلغا جاء يوم القيامة أنا وهو كهاتين وضم أصابعه** » (١) .

وعن عائشة رضى الله عنها قالت : « دخلت عليّ امرأة ومعها ابنتان لها تسأل فلم تجد عندى شيئاً غير تمرة واحدة فأعطيتها إياها فقسمتها بين ابنتيها ولم يأكل منها ثم قامت فخرجت فدخل النبى ﷺ علينا فأخبرته فقال : « **من ابتُلِيَ من هذه البنات بشيء فأحسن إليهن كن له ستراً من النار** » (٢) ، متفق عليه ، وفى رواية لمسلم قال : « **إن الله قد أوجب الجنة أو أعتقها بها من النار** » (٣) ، والروايات فى هذا المعنى كثيرة .

وإذا كانت الجاهلية القديمة قد وأدت ودفنت الأجساد فإن الجاهلية المعاصرة قد غيبّت وأتلفت عقول النساء وقلوبهن بدعوات حرية المرأة (*) ومساواة المرأة بالرجل وهكذا انتقلنا من إفراط إلى تفريط ولا سبيل لتحقيق العدل والإعتدال إلا بالرجوع للكتاب والسُنة .

[د] الإستعداد للطفل قبل مجيئه :

وذلك بالدعاء والإستغفار ، وقول لا حول ولا قوة إلا بالله ، وتعلم الآداب والسُنن الشرعية والأمور التى ينبغى العمل بها أثناء الولادة وبعدها ، حتى نكون على بصيرة من أمرنا الناس ولنحذر دعاء غير الله ، والعمل بالبدع والمخالفات ، ولنحرص على صالح العمل فالطاعة لها أثر عظيم فى يسر الحال وتحصيل سعادة الدارين ﴿ وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا ۝٢ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ﴾ [الطلاق : ٢ ، ٣] .

---

(١) مسلم (٤٧٦٥) . (٢) البخارى (١٣٢٩) مسلم (٤٧٦٤) الزكاة . (٣) مسلم (٤٧٦٤) .

(*) دعوة حرية المرأة : هى دعوة للتمرد على شرع الله ونبذ أوامره من حجاب وعفة وحصانة وحياء ، وأنصارها هم الزنادقة والمنافقون .

ولابد من حمد الله وشكره سبحانه : ﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ (٧) ﴾ [إبراهيم : ٧] ، فالنعمة سبب الشكر ، والشكر سبب المزيد ، ولن ينقطع المزيد من الله حتى ينقطع الشكر من العبد .

حقوق الطفل بعد ولاته :

يتوجه خطاب التكليف بعد ولادة الطفل إلى والديه أو من يقوم بأمره وعليه أن يتقرب إلى الله تعالى ويُحسن إلى المولود بهذه الآداب والسُنن فهى من أسباب صلاحه وسعادته واستقامة نشأته بعد ذلك .

[أ] **الأذان في أذنه اليمنى والإقامة في أذنه اليسرى :**

روى أبو داود والترمذى : « أن رسول الله ﷺ أذَّن فى أُذن الحسن بن على حين ولدته فاطمة بالصلاة » [١] فيكون الأذان هو أول ما يقرع سمع الصبى بما فيه من توحيد الله جل وعلا والدعوة لعبادته وذكر الصلاة التى هى الركن الثانى من أركان الإسلام ، ثم هو يطرد الشيطان عن الصبى فعن أبى هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « **ما من بنى آدم مولود إلا ينخسه الشيطان حين يولد فيستهل صارخاً من نخسه إياه إلا مريم وابنها** » ثم يقول أبو هريرة : اقرأوا إن شئتم : ﴿ وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴾ [آل عمران : ٣٦] متفق عليه [٢] .

[ب] **تحنيك المولود :**

فى الصحيحين عن أبى موسى قال : « **ولد لى غلام فأتيت به النبى ﷺ فسماه إبراهيم ، وحنكه بتمرة** » [٣] ، وزاد البخارى «ودعا له بالبركة ودفعه إليّ » .

وروى مسلم عن عائشة رضى الله عنها: « **أن النبى ﷺ كان يؤتى بالصبيان**

---

(١) سبق تخريجه .
(٢) البخارى (٣١٧٧) ومسلم (٤٣٦٣) .
(٣) البخارى (٥٧٣٠) مسلم (٣٩٩٧) الآداب .

فَيُبرِّك عليهم ويحنكهم فأتى بصبى فبال عليه فدعا بماء فأتبعه بوله »[١] ، قالَ النووى فى شرحه [لصحيح مسلم] قولها : « فَيَبرِّك عليهم » أى يدعو لهم ويمسح عليهم وأصل البركة ثبوت الخير وكثرته ، وقولها : « فيحنكهم » قال أهل اللغة : التحنيك ، أن يمضع التمر أو نحوه ثم يدلك به حنك الصبى أ .هـ .

والتحنيك ليس خاصاً برسول الله ﷺ ، فكل من يُتوسم فيه الصلاح والتقى يقوم مقامه فى هذا الأمر .

• بدع وعادات سيئة في السبوع :

يحرص الناس على رش الملح والطواف بالصبى ووضعه فى غربال يوقدون الشموع ويقومون بدق الهون بجوار أذن الصبى وإلقاء خلاص المولود « المشيمة» فى الماء الجارى ، وبعضهم يقوم بتعليق الودع والتمائم والأحجبة على صدر المولود حتى لا يصاب بالسحر والحسد ، إلى غير ذلك من البدع والعادات السيئة ، التى يجب علينا أن ننتهى عنها وإلا فما أوفر حظ هؤلاء من قوله تعالى : ﴿ قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَىٰ بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ ﴾ [البقرة : ٦١] ، فالخير كله فى العمل بالسنن وهجران البدع .

[جـ] سنن اليوم السابع :

١ - العقيقة : قال ابن القيم فى « تحفة المودود » ، فأما أهل الحديث قاطبةً وفقهاؤهم وجمهور أهل العلم ، فقالوا : هى من سُنة رسول الله ﷺ ، واحتجوا على ذلك بما رواه البخارى فى صحيحه عن سلمان بن عمار الضبى قال : قال رسول الله ﷺ : « **مع الغلام عقيقة فأهريقوا عنه دماً وأميطوا عنه الأذى** »[٢] .

وعن سمرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « **كل غلام رهينة بعقيقته ،**

---

(١) مسلم (٤٣٠) الطهارة .
(٢) البخارى (٥٠٤٩) .

تذبح عنه يوم سابعه ، ويسمى فيه ويحلق رأسه » [١] رواه أهل السنن كلهم ، وقال الترمذى هذا حديث حسن صحيح ، وعن ابن عباس رضى الله عنهما : « أن رسول الله ﷺ عق عن الحسن والحسين كبشاً كبشاً » [٢] ، رواه أبو داود والنسائى ولفظ النسائى : « بكبشين كبشين » .

وقد سئل الإمام أحمد عن تلطيخ رأس الصبى بالدم ، فقال : لا أحبه إنه من فعل الجاهلية ، وقال : لا أحب لمن أمكنه ، وقدر : أن لا يعق عن ولده ، ولا يدعه ، لأن النبى ﷺ قال : « **الغلام مرتهن بعقيقته** » فهو أشد ما روى فى العقيقة، وقال رضي الله عنه : « إن استقرض رجوت أن يخلف الله عليه لأنه أحيا سنة » .

والعقيقة أفضل من التصدق بثمنها ولو زاد كما قال ابن القيم ، ويجزئ فى العقيقة ما يجزئ فى الأضحية ، وهى من جملة العبادات المالية ، ويستحب طبخها دون إخراج لحمها نيئاً كما يكره كسر عظامها ، ولا يصح الإشتراك فيها فهذا مما تخالف فيه العقيقة الهدى والأضحية ، ويؤكل منها ويتصدق ويهدى ويستحب لمن لم يعق عنه أبواه صغيراً أن يعق عن نفسه كبيراً .

٢ - إحسان التسمية : روى أبو داود بإسناد حسن عن أبى الدرداء قال : قال رسول الله ﷺ : « **إنكم تدعون يوم القيامة بأسمائكم وأسماء آبائكم فأحسنوا أسمائكم** » [٣] ، وروى مسلم عن ابن عمر رضي الله عنه : « **إن أحب أسمائكم إلى الله عبد الله وعبد الرحمن** »[٤]،وتجوز التسمية يوم الولادة كما يجوز التأخير إلى اليوم السابع ، بل وقبل ذلك وبعده فالأمر فيه واسع .

وقد اتفقوا على تحريم كل اسم معبد لغير الله كعبد الكعبة وما أشبه ذلك

---

(١) الترمذى (١٤٤٢) النسائى (٤١٤٩) ، أبو داود (٢٤٥٤) ، ابن ماجه (٣١٥٦) .
(٢) أبو داود (٢٤٥٨) ، النسائى (٤١٤٨) .
(٣) أبو داود (٤٢٩٧) الأدب .
(٤) مسلم (٣٩٧٥) الأداب .

ويحرم التسمية بملك الملوك وقاضى القضاة وسيد الناس وسيد الكل ، كما لا يجوز التسمى بأسماء الشياطين ولا الفراعنة ، ويكره التسمية بأسماء الملائكة وكذلك الأسماء التى لها معانٍ تكرهها النفوس ولا تلائمها كحرب ومرة وكلب وحية وقد كان النبى ﷺ يشتد عليه الاسم القبيح ويكرهه جداً من الأشخاص والأماكن والقبائل والجبال ، -حتى إنه ﷺ « مر فى مسير له بين جبلين ، فسأل عن اسمهما ؟ فقيل له : فاضح ومخزٍ ، فعدل عنهما ولم يمر بينهما » وكان ﷺ شديد الإعتناء بذلك .

قال ابن القيم : ومن تأمل السُنة وجد معانى فى الأسماء مرتبطة بها، حتى كأن معانيها مأخوذة منها ، وكأن الأسماء مشتقة من معانيها فتأمل قوله ﷺ : « **أسلم سالمها الله ، وغفار غفر الله لها وعُصية عصت الله** » [١]رواه البخارى، وقوله ﷺ لما جاء سهيل بن عمرو يوم الصلح : « **سهل أمركم** » وقوله ﷺ لبريدة لما سأله عن اسمه ، فقال : بريدة ، قال : « يا أبا بكر ، برد أمرنا ، ثم قال : ممن أنت؟ قال: من أسلم ، فقال لأبى بكر : سلمنا ، ثم قال : ممن ؟ قال من سهم ، قال : خرج سهمك » ذكره أبو عمر فى استذكاره .. أ . هـ .

ويُسن استبدال الاسم القبيح باسم حسن إن استطعنا ، وعموماً فباب الإخبار أوسع من باب الإنشاء .

٣ - حلق رأس الصبي والتصدق بوزن شعره : ثبت عن النبى ﷺ أنه قال فى حديث العقيقة : « **ويُحلق رأسه ويسمى** » ، ويستحب أن يكون ذلك يوم سابعه ، وقد سئل الحسن عن قوله ﷺ : « **أميطوا عنه الأذى** » قال : يلحق رأسه ، وقال الإمام أحمد : يحلق رأس الصبى .

ويُسن التصدق بزنة شعره فضة ، ويكره القزع وهو حلق بعض رأس الصبى

---

(١) البخارى (٣٢٥١) المناقب .

وترك بعضه ، ففى الصحيحين من حديث ابن عمر رضي الله عنهما قال : « **نهى رسول الله ﷺ عن القزع** » [١] ، قال ابن القيم : والقزع أربعة أنواع ، أحدها : أن يحلق من رأسه مواضع من هاهنا وهاهنا ، مأخوذ من تقزع السحاب وهو تقطع الثانى : أن يحلق وسطه ويترك جوانبه ، كما يفعله شمامسه النصارى الثالث : أن يحلق جوانبه وبترك وسطه ، كما يفعله كثير من الأوباش والسفل الرابع : أن يحلق مقدمه ويترك مؤخره ، وهذا كله من القزع ، والله أعلم .

٤ - الختان : فى الصحيحين من حديث أبى هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « **الفطرة خمس : الختان ، والاستحداد - إزالة شعر العانة - وقص الشارب وتقليم الأظفار ونتف الإبط** » [٢] .

وقال ابن القيم : الفطرة فطرتان : فطرة تتعلق بالقلب وهى معرفة الله ومحبته وإيثاره على ما سواه ، وفطرة عملية : وهى هذه الخصال ، فالأولى تزكى الروح وتطهر القلب ، والثانية تطهر البدن ، وكل منهما تمد الأخرى وتقويها وكان رأس فطرة البدن الختان .

قال الإمام أحمد وإن ختن يوم السابع فلا بأس وإنما كرهه الحسن كيلا يتشبه باليهود وليس فى هذا شيء ، والختان مشروع للرجل والمرأة لقول النبى ﷺ فيما صح عنه : « **إذا التقى الختانان وجب الغسل** » [٣] ، فدل على أن المرأة تختن [*] ، وهو آكد فى الرجال .

[٥] حق الإرضاع :

قال تعالى : ﴿ وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ ﴾ [البقرة : ٢٣٣] ، فتمام الرضاع حولان ، وذلك حق للولد إذا

(١) البخارى (٥٤٦٥) اللباس والزينة .
(٢) البخارى (٥٤٣٩) مسلم (٣٧٧) .
(٣) أحمد (٦٣٨٣) كتاب الغسل ، البخارى « باب إذا التقى الختانان » .
(*) اتفق الجمهور على استحبابه فى حق النساء ووجوبه فى حق الرجال .

احتاج إليه ، ولم يستغن عنه ، وأكدهما ﴿ كَامِلَيْنِ ﴾ لئلا يحمل اللفظ على حول وأكثر ، وإذا أراد الأبوان فطامه قبل ذلك بتراضيهما وتشاورهما مع عدم مضرة الطفل ، فلهما ذلك ، وإذا أراد الأب أن يسترضع لولده مرضعة أخرى غير أمه فله ذلك وإن كرهت الأم، إلا أن يكون مضاراً بها أو بولدها ، فلا يجاب إلى ذلك ، ويجوز أن تستمر الأم على رضاعه بعد الحولين إلى نصف الثالث أو أكثر كما قال ابن القيم ، وذلك أن أحمد أوقات الفطام إذا كان الوقت معتدلاً في الحر والبرد ، وقد تكامل نبات أسنانه وأضراسه ، وقويت على تقطيع الغذاء وطحنه ، ففطامه عند ذلك الوقت أجود له ، ووقت الإعتدال الخريفي أنفع في الفطام من وقت الإعتدال الربيعي ، لأنه في الخريف يستقبل الشتاء والهواء يبرد فيه ، والحرارة الغريزية تنشأ فيه وتنمو ، والهضم يزداد قوة وكذلك الشهوة ، قال : وينبغي للمرضع إذا أرادت فطامه أن تفطمه على التدريج ولا تفاجئه بالفطام وهلة واحدة ، بل تعوده إياه ، وتمرنه عليه لمضرة الانتقال عن الإلف والعادة مرة واحدة . وفي الحديث : « **يحرم من الرضاع ما يحرم من النسب** » [(١)] ، فلو ارتضع الطفل خمس رضعات في سن السنتين ، تصبح المرضعة في حكم أمه ، ولها من البر ما لأمه ، ولا يصح لمولود أن يتزوجها أو يتزوج بأي من أولادها ، لأنهم يصيرون إخوته من الرضاع .

الإرتضاع بلبن الفجور والمشركات :

قال ابن قدمه في [المغنى] جـ « ٧ ص ٥٦٢ » : « كره أبو عبد الله الإرتضاع بلبن الفجور والمشركات ، وقال عمر بن الخطاب وعمر بن عبد العزيز رضي الله عنهما : اللبن يشتبه فلا تستق من يهوديه ولا نصرانية ولا زانية ولا يقبل أهل الذمة المسلمة ولا يرى شعورهن ولأن لبن الفاجرة ربما أفضى إلى

---

(١) البخاري(٤٨٣٨) ، مسلم كتاب الرضاع ، أحمد(٢٣٦٠) .

شبه المرضعة فى الفجور ويجعلها أماً لولده فيتعيَّرَ بها ويتضرر طبعاً وتعيراً ، والإرتضاع من المشركة يجعلها أماً لها حرمة الأم مع شركها وربما مال إليها فى محبة دينها ، ويكره الإرتضاع بلبن الحمقاء كيلا يشبهها الولد فى الحمق فإنه يقال إن الرضاع يغير الطباع . والله تعالى أعلم أ هـ .

[٦] حقه في المحافظة على الفطرة السوية :

يقول رسول الله ﷺ : « **ما من مولود إلا يولد على الفطرة** » ،وفى رواية : « **الملة فأبواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه** »(١) .

قال عكرمة : لم يخص بها آد، ولكن جعلها عامة لجميع الخلق بعد آدم ، وفى هذا الحديث ، لم يقل النبى ﷺ : أو يسلمانه وذلك لأن الإسلام هو دين الفطرة ، وما عداه عبارة عن اعتداء على الفطرة السوية المستقيمة ، وقد ذكر النووى فى شرحه لصحيح مسلم : أن أولاد المشركين فى الجنة لأن النبى ﷺ رأى إبراهيم وحـوله أولاد الناس فى الجنة ، ونسب النووى هذا القـول إلى المحـقـقين من العلمـاء ، وذلك طالما أنهم مـاتوا قـبل أن يبلغـو الحُلم ، وفى الحديث : « **إنى خلقت عبادى حنفاء ، فجاءت الشياطين فاجتالتهم عن دينهم ، وحرمت عليهم ما أحللت لهم ، وأمرتهم أن يشركوا بى ما لم أنزل به سلطاناً** » رواه مسلم(٢) .

فالإنحراف بفطرة الصبى من فعل شياطين الإنس والجن ، ولا سبيل للمحافظة على الفطرة إلا بإقامتها على الإسلام الذى دعا إليه الأنبياء والمرسلون جميعاً ﴿ إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الإِسْلامُ ﴾[آل عمران : ١٩]، ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ (٨٥) ﴾[آل عمران : ٨٥] ولنجنب الصبى ما استطعنا منكرات الأقوال والأفعال لأنها تلوث فطرته .

---

(١)البخارى (١٢٧٠)، مسلم (٤٨٠٣).
(٢)مسلم (٥١٠٩).

[٧] الفتح على الصبي بكلمة التوحيد :

عن ابن عباس رضى الله عنهما عن النبى ﷺ قال : « **افتحوا على صبيانكم أول كلمة لا إله إلا الله ، ولقنوهم عند الموت لا إله إلا الله** » رواه الحاكم [١] ، وروى عبد الرزاق : « **أنهم كانوا يستحبون أول ما يفصح أن يعلموه لا إله إلا الله سبع مرات فيكون ذلك أول ما يتكلم به** » [٢] .

قال ابن القيم فى « تحفة المودود » : فإذا كان وقت نطقهم فليلقنوا : لا إله إلا الله محمد رسول الله ، وليكن أول ما يقرع مسامعهم معرفة الله سبحانه ، وتوحيده وأنه سبحانه فوق عرشه ينظر إليهم ويسمع كلامهم ، وهو معهم أينما كانوا ، وكان بنو إسرائيل كثيراً ما يسمعون أولادهم عما نويل ، ومعنى هذه الكلمة – إلهنا معنا – ولهذا كان أحب الأسماء إلى الله : عبد الله ، وعبد الرحمن ، بحيث إذا وعى الطفل وعقل علم أنه عبد الله وأنه سيده ومولاه .

[٨] التربية الإيمانية :

لابد من تعويده وتعليمه أصول الإيمان وهى الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره ، وتعليمه أركان الإسلام وهى الشهادتان والصلاة والصوم والزكاة والحج ، وتبسيط المعانى له ومخاطبته على قدر عقله بحيث يستوعب هذه المعانى الإيمانية ويراعى فى ذلك ربط الأمور بعظيم قدرة الله فى خلقه ورحمته بهم ونعمته عليهم حتى يشب على محبة الله جل وعلا ومراقبته سبحانه لعلمه أن الله مطلع عليه فى كل حركة وسكنة ، وأنه أحق أن يطاع فلا يعصى وأن يشكر فلا يكفر وأن يذكر فلا ينسى ، فيورثه ذلك الخشية والخوف من ربه والإخلاص له فى السر والعلن .

أخرج الترمذى عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : « كنت خلف النبى

---

(١) رواه الحاكم .
(٢) رواه عبد الرزاق .

ﷺ يوماً فقال : « **يا غلام إني أعلمك كلمات : احفظ الله يحفظك ، احفظ الله تجده تجاهك ، إذا سألت فاسأل الله ، وإذا استعنت فاستعن بالله ، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك ، وإن اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك ، رُفعت الأقلام وجفت الصحف** » [١] ، وفى رواية غير الترمذى زيادة : « **احفظ الله تجده أمامك ، تعرف إلى الله فى الرخاء ، يعرفك فى الشدة ، واعلم أن ما أخطأك لم يكن ليصيبك ، وما أصابك لم يكن ليخطئك ، واعلم أن النصر مع الصبر ، وأن الفرج مع الكرب ، وأن مع العسر يسراً** » [٢] ،كما أن المعانى الإيمانية المطلوبة تعليمه سنة النبىﷺ وسيرته وكيف كانت شجاعته ووفاؤه وحلمه وصبره ويقينه وإخلاصه ... فمعانى السيرة تصل إلى قلب الكبير والصغير من أقصر طريق ، ومعرفة السُنن وتوقيرها والعمل بما فيها من آداب وحلال وحرام سياج للنفس وصيانة لها ولذلك لما رأى النبى ﷺ غلاماً تطيش يده فى الصحفة أثناء تناوله الطعام ، قال له : « **يا غلام سمِّ الله ، وكُلْ بيمينك ، وكل مما يليك** » رواه البخارى ومسلم [٣] .

[٩] تعويده الأخلاق الفاضلة :

قال ابن القيم رحمه الله فى كتابه [تحفة المودود] ص ٢٤٠ ، ومما يحتاج إليه الطفل غاية الإحتياج الإعتناء بأمر خُلُقه ، فإنه ينشأ على ما عوَّدَّه المربى فى صغره من حَرَدِ « الإعتزال والغضب والتنحى » وغضب ، ولجاج وعجلة وخفة مع هواه ، وطيش وحِدةٍ وجشع فيصعب عليه فى كبره تلافى ذلك وتصير هذه الأخلاق صفات وهيئات راسخة له ، فلو تحرز منها غاية التحرز فضحته ولابد يوماً ما ، ولهذا تجد أكثر الناس منحرفة أخلاقهم ، وذلك من قبل

---

(١) سبق تخريجه . (٢) أحمد (٢٦٦٦) . (٣) البخارى (٤٩٥٧) مسلم (٣٧٦٧) .

التربية التى نشأوا عليها .

وكذلك يجب أن يتجنب الصبى إذا عقل مجالس اللهو والباطل والغناء وسماع الفحش والبدع ومنطق السوء، فإنه إذا علق بسمعه ، عسر عليه مفارقته فى الكبر وعزَّ على وليه استنقاذه منه ، فتغيير العوائد من أصعب الأمور ، يحتاج صاحبه إلى استجداد طبيعة ثانية ، والخروج عن حكم الطبيعة عَسرٌ جداً ، وينبغى لوليه أن يجنبه الأخذ من غيره غاية التجنب ، فإنه متى اعتاد الأَخذ صار له طبيعة ، ونشأ بأن يأخذ ، لا بأن يعطى ، ويعوده البذل والإعطاء وإذا أراد الولى أن يعطى شيئاً أعطاه إياه على يده ليذوق حلاوة الإعطاء ، ويجنبه الكذب والخيانة أعظم مما يجنبه السم الناقع ، فإنه متى سهل له سبيل الكذب والخيانة أفسد عليه سعادة الدنيا والآخرة وحرمه كل خير ، ويجنبه الكسل والبطالة والدَّعة والراحة ، بل يأخذه بأضدادها ولا يريحه إلا بما يجم نفسه وبدنه للشغل ، فإن الكسل والبطالة عواقب سوء ومغبة ندم ، وللجد والتعب عواقب حميدة ، إما فى الدنيا ، وإما فى العقبى ، وإما فيهما ، فأروح الناس أتعب الناس ، وأتعب الناس أروح الناس ، فالسيادة فى الدنيا ، والسعادة فى العقبى لا يوصل إليها إلا على جسر من التعب .

قال يحيى بن أبى كثير : لا ينال العلم براحة الجسم ، ويعوده الإنتباه آخر الليل ، فإنه وقت قسم الغنائم ، وتفريق الجوائز ، فمستقل ومستكثر ومحروم ، فمتى اعتاد ذلك صغيراً سهل عليه كبيراً .

قال : ويجنبه فضول الطعام والكلام والمنام ومخالطة الأنام فإن الخسارة فى هذه الفضلات وهى التى تفوت على العبد خير دنياه ، وآخرته ويجنبه مضار الشهوات المتعلقة بالبطن والفرج غاية التجنب ، فإن تمكينه من أسبابها والفسح له فيها يفسده فساداً يعز عليه بعده صلاحه ، وكم ممن أشقى ولده وفلذة كبده فى الدنيا والآخرة بإهماله وترك تأديبه ، وإعانته له على شهواته ويزعم أنه يكرمه

وقد أهانه ، وأنه يرحمه وقد ظلمه وحرمه ، ففاته انتفاعه بولده ، وفوَّت عليه حظه فى الدنيا والآخرة ، وإذا اعتبرت الفساد فى الأولاد رأيت عامته من قبل الآباء أ . هـ .

[١٠] الإنكار على الصبي :

قال ابن القيم رحمه الله : « والحذر كل الحذر من تمكينه من تناول ما يزيل عقله من مسكر وغيره ، أو عِشرة من يخشى فساده ، أو كلامه له ، أو الأخذ فى يده ، فإن ذلك الهلاك كله ، ومتى سهل عليه فقد استسهل الدياثة ولا يدخل الجنة ديوث ، فما أفسد الأبناء مثل تفريط الآباء وإهمالهم واستسهالهم شرر النار بين الثياب ، فأكثر الآباء يعتمدون مع أولادهم أعظم ما يعتمد العدو الشديد العداوة مع عدوه ، وهم لا يشعرون ، فكم من والد حَرَم ولده خير الدنيا والآخرة وَعرَّضه لهلاك الدنيا والآخرة ، وكل هذا عواقب تفريط الآباء فى حقوق الله وإضاعتهم لها وإعراضهم عما أوجب الله عليهم من العلم النافع والعمل الصالح ، وحرمهم الإنتفاع بأولادهم وحرم الأولاد خيرهم ونفعهم لهم من عقوبة الآباء .

قال : ويجنبه لبس الحرير ، فإنه مفسد له ، ومخنث لطبيعته ، كما يخنثه اللواط ، وشرب الخمر ، والسرقة ، والكذب ، وقد قال النبى ﷺ : « **يُحرم الحرير والذهب على ذكور أمتى وأُحلَّ لإناثهم** » [١] ، رواه الترمذى وقال : حديث حسن صحيح ، والصبى وإن لَم يكن مكلفاً ، فوليه مكلف لا يحل له تمكينه ، من المُحرّم ، فإنه يعتاده ويعسر خطامه ، وهذا أصح قولى العلماء ، واحتج من لم يره حراماً عليه بأنه غير مكلَّف فلم يحرم لبسه للحرير كالدابة ، وهذا من أفسد القياس ، فإن الصبى وإن لم يكن مكلفاً فإنه مستعد للتكاليف ،

---

(١) الترمذى (١٦٤٢) اللباس ، النسائى (٥٠٥٣) الزينة .

ولهذا لا يمكن من الصلاة بغير وضوء ولا من الصلاة عرياناً ونجساً ، ولا من شرب الخمر والقمار واللواط » أ . هـ .

ضوابط المصلحة فى إنكار المنكر :

الصبى الذى لم يبلغ ، ليس من أهل التكليف ، ولا يأثم ولا يصير عاصياً بشربه الخمر أو لبسه الحرير والذهب مثلاً ، وإن كانت هذه الأشياء تعد من جملة المنكرات فى حقه ويجب على والديه أو ولى أمره ، أن يقوم بإزالتها وإلا لحقه الإثم هو دون الصبى ، وإزالة المنكر تكون بحيث تتحقق المصلحة وتندفع المضرة والمفسدة ، وذلك لا يتم إلا بمعرفة فقه الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ومراعاة ضوابط وآداب الإنكار ، وقد استخلص العلماء قواعد كثيرة من نصوص الكتاب والسُنة تتعلق بهذا الجانب مثل درء المفسدة مقدم على جلب المصلحة، وتحصيل أعظم المصلحتين بدفع أدناهما عند المعارضة وعدم إمكان الجمع وكذلك التزام أخف المفسدتين بتفويت أعظمهما فى حالة عدم الإستطاعة على دفع كليهما ، وقاعدة : الضرر يزال ، والضرورات تبيح المحظورات ، والضرورات تقدر بقدرها .

فالتزام نصوص الشريعة من شأنه أن يحقق مصلحة الكبير والصغير فى العاجل والآجل ، فإذا كانت المنكرات قد زادت وغلبت على الأوضاع مما أوجد الكثير من الإشكاليات ، فالواجب علينا أن لا ننكر المنكر بمنكر أعظم أو أشد ، وليس لنا أن نثبت المنكرات ونأتى بالمزيد منها ، أو أن نتلف النفس فى غير مصلحة شرعية ، أو أن نجر الأذى والمضرة على الأهل والإخوان بإنكارنا المنكرات ، فجانب الإنكار على الصغير أو الكبير لا يخضع للحماسات أو العاطفيات أو النوايا الطيبة فحسب، فلابد فيه من نية وصحة أو إخلاص ومتابعة، وهذا يتطلب منا معرفة أصول التربية الإسلامية والإلمام بجميع جوانبها حتى يقوموا بها خير قيام .

[١١] وجوب تأديب الأولاد :

قال الله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ ﴾ [التحريم : ٦] .

قال عليّ رضي الله عنه : علموهم وأدبوهم ، وقال الحسن : مروهم بطاعة الله وعلموهم الخير . وفى المسند وسنن أبى داود من حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال : قال رسول الله ﷺ : « **مروا أبناءكم بالصلاة لسبع واضربوهم عليها لعشر وفرقوا بينهم فى المضاجع** »(١) .

قال سفيان الثورى : ينبغى للرجل أن يُكره ولده على طلب الحديث فإنه مسؤول عنه ، وقال : إن هذا الحديث عزّ ، ومن أراد به الدنيا وجدها ، ومن أراد به الآخرة وجدها ، وقال عبد الله بن عمر رضى الله عنهما : أدِّب ابنك فإنك مسؤول عنه ، ماذا أدبته وماذا علمته ؟ وهو مسؤول عن برِّك وطواعيته لك ، وقال البعض : لاعبه سبعاً وأدبه سبعاً وصاحبه سبعاً .

وقال سعيد بن منصور : حدثنا حزم ، قال : سمعت الحسن وسأله كثير بن زياد عن قوله تعالى : ﴿ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴿٧٤﴾ ﴾ [الفرقان : ٧٤] فقال : يا أبا سعيد : ما هذه القرة للأعين ، أفى الدنيا ، أم فى الآخرة ؟ قال : لا ، بل والله فى الدنيا ، قال : وما هى ؟ قال : والله أن يُرى الله العبد من زوجته ، من أخيه ، من حميمه طاعة الله ، لا والله مـا شىء أحب إلى المرء المسلم من أن يرى ولداً ، أو والداً ، أو حميماً ، أو أخاً مطيعاً لله عز وجل .

وعن ابن عمر رضى الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : « **كلكم راعٍ**

---

(١) أحمد (٦٤٠٢) أبو داود (٤١٨) .

وكلكم مسؤول عن رعيته ، فالأمير راعٍ على الناس وهو مسؤول عن رعيته ، والرجل راع عن أهل بيته ، وامرأة الرجل راعية على بيت بعلها وولده ، وهى مسؤولة عنهم ، وعبد الرجل راع على مال سيده وهو مسؤول عنه ، ألا فكلكم راعٍ ، وكلكم مسؤول عن رعيته » رواه البخارى [(١)] ، فعلينا أن نحسن اسم الصبى وأدبه وإذا بلغ ينبغى إعانته على الزواج .

أقوال نافعة فى التأديب والتربية :

لقد أدى انفصال الدنيا عن الآخرة فى عهود الغربة إلى ضياع معنى التأديب والتربية فأصبح المؤدب والمربى يدرس فنون الإيتيكيت وعلوم النفس بينما يجهل الكثير من معانى التربية التى وردت فى كتاب الله وسُنة رسول الله ﷺ وأنى لنفس أن تتربى بعيداً عن شرع ربها ، ولذلك لما قيل للبعض : هل قرأت أدب النفس لأرسطو، قال: بل قرأت أدب النفس لمحمد بن عبد الله ﷺ ، ومن المعلوم أن النبى ﷺ ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ (٣) إِنْ هُوَ إِلاَّ وَحْيٌ يُوحَىٰ (٤) ﴾ [النجم : ٣ ، ٤].

وعلى هذا النبع الصافى « الكتاب والسُنة » تربى صحابة النبى ﷺ ومن تابعهم بإحسان ، وحرص الأفاضل على تربية أولادهم عليه ، وكان عندهم من فنون التربية وأصولها ما هو أعظم مما وجد عند الفلاسفة ومما أُخذ من التجارب الحيوانية من نظريات ، ومن جملة ما ذُكر :

١ – أن عقبة بن أبى سفيان لما دفع ولده إلى المؤدب قال له : ليكن أول ما تبدأ به من إصلاح بنىّ إصلاح نفسك ، فإن أعينهم معقود بعينك فالحسن عندهم ما استحسنت ، والقبيح عندهم ما استقبحت ، وعلمهم

---

(١) البخارى « سبق تخريجه » .

سير الحكماء وأخلاق الأدباء وتهددهم بى ، وأدبهم دونى ، وكن لهم كالطبيب الذى لا يعجل بالدواء حتى يعرف الداء ولا تتكلن على عذر منى ، فإنى قد إتكلت على كفاية منك .

٢ - ولما دفع هارون الرشيد ولده الأمين إلى المؤدب قال له : يا أحمر إن أمير المؤمنين قد دفع إليك مهجة نفسه ، وثمرة قلبه ، فصير يدك عليه مبسوطة وطاعتك له واجبة ، فكن له بحيث وضعك أمير المؤمنين ، أقرئه القرآن ، وعرفه الأخبار ، وروِّه الأشعار ، وعلمه السُنن ، وبصره بمواقع الكلام وبدئه ، وامنعه من الضحك إلا فى أوقاته ، ولا تُمرن بك ساعة إلا وأنت مغتنم فائدة تفيده إياها من غير أن تحزنه فتميت ذهنه ، ولا تمعن فى مسامحته ، فيستحلى الفراغ ويألفه ما استطعت بالقرب والملاينة ، فإن أباهما فعليك بالشدة والغلظة .

٣ - وقال عبد الملك بن مروان ينصح مؤدب ولده : علمهم الصدق كما تعلمهم القرآن ، واحملهم على الأخلاق الجميلة ، وروِّهم الشعر يشجعوا وينجدوا ، وجالس بهم أشراف الرجال وأهل العلم منهم ، وجنبهم السفلة والخدم فإنهم أسوأ الناس أدباً ، ووقرهم فى العلانية وأنبهم فى السر ، واضربهم على الكذب ، إن الكذب يدعو إلى الفجور ، وإن الفجور يدعو إلى النار .

٤ - وقال أحد الحكماء لمعلم ولده: لا تخرجهم من علم إلى علم حتى يحكموه ، فإن إحكاك العلم فى السمع وازدحامه فى الوهم مضلة للفهم .

٥ - وذكر البعض فى تربية الولد : أن يكون مع الصبى فى مكتبه صبيةٌ حسنةٌ آدابُهم ، مرضيةٌ عاداتُهم لأن الصبى عن الصبى ألقن ، وهو عنه آخذُ وبه آنس .

٦ - وقال هشام بن عبد الملك لسليمان الكلبى مؤدب ولده : إن ابنى هذا هو

جلدة ما بين عينى، ولقد وليتك تأديبه ، فعليك بتقوى الله ، وأدِّ الأمانة، وأول ما أوصيك به أن تأخذه بكتاب الله ثم روِّه من الشعر أحسنه ، ثم تخلل به فى أحياء العرب ، فخذ من صالح شعرهم وبصره طرفاً من الحلال والحرام ، والخطب والمغازى .

٧ – أوصت امرأة ابنتها فقالت لها : أى بنية : اعلمى لو أن امرأة استغنت عن الزوج لغنى أهلها لكنت أغنى الناس ، ولكن النساء للرجال خُلقن ، ولهن خُلِقَ الرجال ، أى بنية : احفظى عنى عشر خصال تكن لك ذخراً :

الأولى والثانية : المعاشرة بالرضا والقناعة ، وحُسن السمع له والطاعة .

الثالثة والرابعة : التفقد لموضع أنفه وموقع عينه ، فلا تقع عينه منك على قبيح ولا يشم منك إلا أطيب ريح .

الخامسة والسادسة : الهدوء عند منامه ، والتفقد لوقت طعامه فإن مرارة الجوع ملهبة ، وتنغيص النوم مغضبة .

السابعة والثامنة : الإحتفاظ بماله ، والإرعاء على حشمه وعياله .

التاسعة والعاشرة : إياك أن تعصى له أمراً وتفشى له سراً ، فإنك إن عصيتى أمره أوغرت صدره ، وإن أفشيتى سره لم تأمنى غدره ، وفى بعض الروايات : كونى له أمة يكن لك عبداً .

٨ – خير ما نختم به هذه الوصايا عظة لقمان لولده ، قال تعالى : ﴿ وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ (١٣) ﴾ [لقمان : ١٣] ، ﴿ يَا بُنَيَّ إِنَّهَا إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُن فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَوَاتِ أَوْ فِي الأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ (١٦) يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنكَرِ وَاصْبِرْ عَلَى مَا

أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الأُمُورِ (١٧) وَلا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلا تَمْشِ فِي الأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ (١٨) وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِن صَوْتِكَ إِنَّ أَنكَرَ الأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ (١٩) ﴾.

[لقمان : ١٦ – ١٩] .

[١٢] التدرج في عقوبة الطفل :

يلجأ بعض الناس إلى ضرب الصبى بل وتحريقه بالنار أو تخويفه بها مع كل خطأ يقع فيه ، وهذا لا يصح مع الكبير فضلاً عن الصغير ، فإذا كان التأديب ضرورة تربوية ، فلا بد من التدرج فى تأديب الطفل ، ولابد من تصحيح خطأ الطفل فكرياً ثم عملياً .

ففى الصحيحين عن أبى هريرة رضي الله عنه قال : أخذ الحسن بن عليّ رضي الله عنهما تمرة من تمر الصدقة فجعلها فى فيه ، فقال رسول الله ﷺ : « **كخْ .. كخْ .. ارم بها ، أما علمت أنا لا نأكل الصدقة** » (١) .

وروى أبو دواد عن عبد الرحمن بن أبى علقمة رحمه الله عن أبيه ، وكان مولى من أهل فارس ، قال : « شهدت مع النبى ﷺ أُحداً فضربت رجلاً من المشركين فقلت : خذها وأنا الغلام الفارسى، فالتفت إليّ رسول الله ﷺ فقال : « **هلا قلت وأنا الغلام الأنصارى ابن أخت القوم منهم** » (٢) .

وروى أبو داود عن أبى سعيد الخدرى رضي الله عنه : « أن رسول الله ﷺ مر بغلام يسلخ شاة ما يُحسن فقال له رسول الله ﷺ : « **تنح حتى أريك ، فأدخل يده بين الجلد واللحم فدخَسَ بها حتى دخلت إلى الإبط ثم مضى فصلى للناس ولم يتوضأ** » (٣) .

---

(١) البخارى (١٣٩٦) الزكاة ، مسلم (٢٨٤٣) الجهاد والسير .
(٢) أبو داود (٤٤٥٨) الأدب ، أحمد (٨٩٤٠) الدارمى (١٥٨٥) .
(٣) أبو داود (١٥٧) الطهارة .

فإذا أصر الطفل على ارتكاب الخطأ بعد تعليمه وتفهيمه فلا بأس بإظهار السوط له ، فقد روى البخارى فى « الأدب » عن ابن عباس رضى الله عنهما أن النبى ﷺ « **أمر بتعليق السوط فى البيت** » (١) ، ولا حرج فى شد أذنه ، لما ورد فى كتاب ابن السنى عن عبد الله بن يُسْر المازنى الصحابى رضي الله عنه قال : « بعثتنى أمى إلى رسول الله ﷺ بقطف من عنب فأكلت منه قبل أن أبلغه أياه ، فلما جئت أخذ بأذنى **وقال :يا غُدر**(٢) » (٣) .

فإذا لم يرتدع الصبى جاز ضربه دون إتلاف ، ولابد من مراعاة قواعد الضرب الصحيحة التى وردت فى السُنن ، كأن يكون ابتداء الضرب فى سن العاشرة ، وأقصى الضربات عشر ، ولا يضرب الوجه أو الفرج أو الرأس ، وليحذر الغضب الذى يخرجه عن حد الإعتدال ، وليتجنب السب والشتم البذئ ، وأن يكون الضرب مفرقاً معتدلاً لا يحدث عاهة أو يكسر عضواً ، فإذا ذكر الطفل ربه ، فارفع يدك عنه لما رواه الترمذى عن أبى سعيد الخدرى رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ :« **إذا ضرب أحدُكم خادمه فذكر الله فارفعوا أيديكم** » (٤)، وكذلك الأمر بالنسبة للصبى ، فالضرب ليس للانتقام والتشفى ، وإنما هو للتأديب ولا يصح التحريق بالنار لورود النهى عنه وقد نهى النبى ﷺ عن المُثلة (٥) .

[١٣] حق الحفاظ على حياة الطفل :

يجب على الوالدين المحافظة على الأبناء ووقايتهم من الأضرار والأخذ بأسباب قبل الولادة وبعدها ، وهذا الأمر لا يقتصر على الجسد فحسب بل يتعداه إلى النفس والقلب ، ودلائل ذلك كثيرة : منها قوله تعالى :﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ

---

(١) البخارى فى « الأدب » .
(٢) غُدَرٌ : خائن أو غادر .
(٣) ابن السنى .
(٤) الترمذى (١٨٧٣) ، وفى سنده ضعف ذكره الترمذى .
(٥) البخارى (٣٨٧١) المغازى .

أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ (٢١) ﴾ [الروم : ٢١]، ومنها قوله تعالى : ﴿ وَلا تَقْتُلُوا أَوْلادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلاقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْئًا كَبِيرًا (٣١) ﴾ [الإسراء : ٣١]، ومنها قوله تعالى: ﴿ وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافًا خَافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلاً سَدِيدًا (٩) ﴾ [النساء : ٩] . وفي الحديث : « **كفى بالمرء إثمًا أن يضيِّع من يعول** » رواه أبو داود [1] .

وفي الحديث أيضاً : « **كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته** » رواه البخاري [2] ، وروى أحمد عن أبي سعيد قال : قال رسول الله ﷺ : « **من كان له ثلاث بنات أو ثلاث أخوات أو بنتان أو أختان فأحسن صحبتهن وصبر عليهن ، واتقى الله فيهن دخل الجنة** » [3] ، وقد أمر ﷺ بالتداوي فقال : « **تداووا عباد الله ، ما أنزل الله من داء إلا أنزل له دواء** » [4] رواه أحمد ، وقال أيضاً : « **ليس منا من لم يرحم صغيرنا ويعرف حق كبيرنا** » رواه الترمذي [5] .

وروى أصحاب السنن عن رسول الله ﷺ أنه قال : « **المؤمن القوى خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف** » [6] ، ومن أهم أسباب الوقاية المحافظة على الفرائض والطاعات ولذلك قال سبحانه : ﴿ وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لا نَسْأَلُكَ رِزْقًا نَّحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى ﴾ [طه : ١٣٢] .

---

(١) أبو داود (١٤٤٢) بلفظ من يقوت .
(٢) سبق تخريجه .
(٣) أحمد « رواه بغير هذا اللفظ ، اللفظ للترمذي (١٨٣٩) .
(٤) رواه أحمد (١٧٧٢٧) ، ابن ماجه (٣٤٢٧) .
(٥) الترمذي (١٨٤٤) ، أحمد (٦٤٤٥) .
(٦) مسلم (٤٨١٦) ، ابن ماجه (٧٦) .

[١٤] حق الحضانة والنفقة والولاية والوصاية :

حقوق الطفل كثيرة ، وهى بمثابة الصيانة له ، ومن شأنها أن تحافظ على نشأته السوية ، فالطفل يحتضنه والداه ويقومان على رعايته والإعتناء به وأداء ما يحتاجه فإذا افترق الزوجان بطلاق أو موت أو سفر فالحضانة للأم ما لم تتزوج بآخر ، فإذا ما كبر الطفل واستغنى عن خدمة النساء فإنه يخير بين البقاء مع أمه أو الذهاب لأبيه ، ونفقته العرفية اللائقة بمثله واجبة على الأب تبعاً لإعساره ويساره لقوله تعالى : ﴿ وَإِن كُنَّ أُوْلاتِ حَمْلٍ فَأَنفِقُوا عَلَيْهِنَّ حَتَّىٰ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ ﴾ [الطلاق : ٦] ، ويقوم الأب بكل ما يتعلق بالطفل من رعاية وعلاج وتعليم فإذا لم يوجد الأب انتقلت الولاية على الطفل إلى أقرب عاصب حسب ترتيب الميراث « الأب ثم الجد ثم الأخ البالغ ، ثم العم ثم أبناء العمومة » وللولى سلطة النفقة والتأديب والتعليم والعلاج وتزويج البنت ولابد أن يكون الولى بالغاً عاقلاً رشيداً قادراً على القيام بمقتضيات الولاية ، ولا يصح لكافر أن يتولى أمر المسلم .

ومن كان ولياً على مال الصغير فعليه بتثميره فى غير محرم لئلا تأكله الصدقة ولابد من المحافظة عليه وعدم أكله بالباطل ، وذلك لقوله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا (١٠) ﴾ [النساء : ١٠] ، فالطفل له حق الميراث والتملك ، ولا يجوز الجور عليه لصغره ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ ﴾ [النساء : ٢٩] ، فإذا اختار الأب وصياً للقيام بشؤون الابن أو عينته المحكمة ورضى بذلك فعليه أن يقوم مقام الولى والإشراف على الصبى والإحسان إليه والحذر من تضييعه لقوله تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا الأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا ﴾ [النساء : ٥٨] .

[١٥] من حقوق الأولاد العدل بينهم في العطاء والمنع :

يجب التسوية بين الأولاد والبنات فى العطية فى الدنيا إلا للعارض الراجح، كأن نمنع السفيه ، ونعطى من هو مريض مرضاً مزمناً أو يطلب علماً أكثر من أخوته ، أما الميراث ﴿ فَلِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الأُنثَيَيْنِ ﴾ [النساء : ١٧٦] وبذلك وردت نصوص الشريعة ، ففى السنن ومسند أحمد وصحيح ابن حبان من حديث النعمان بن بشير قال : قال رسول الله ﷺ : « **اعدلوا بين أبنائكم ، اعدلوا بين أبناءكم** »(١) .

وفى صحيح مسلم أن امرأة بشير قالت له : انحل ابنى غلاماً وأشهد لى رسول الله ﷺ فأتى رسول الله ﷺ فقال : إن ابنة فلان سألتنى أن أنحل ابنها غلامى ، **قال** : « له إخوة ؟ » قال : نعم ، **قال** : « **أفكلهم أعطيت مثل ما أعطيته** ؟ » قال : لا ، **قال** : « **فليس يصلح ذا ، وإنى لا أشهد إلا على حق** »(٢) ، ورواه الإمام أحمد وقال فيه : « **لا تشهدنى على جور ، إن لبنيك عليك من الحق أن تعدل بينهم** » ، ورواه مسلم فى الهبات « باب كراهية تفضيل بعض الأولاد فى الهبة » ، وفى الحديث : « **اتقوا الله واعدلوا بين أولادكم** » رواه مسلم(٣) .

وعن أنس رضي الله عنه أن رجلاً كان جالساً مع النبى ﷺ فجاء بُنيٌّ له فقبَّله وأجلسه فى حجره ، ثم جاءت بُنيَّة فأخذها فأجلسها إلى جنبه فقال النبى ﷺ : « **فما عدلت بينهما** » ، وكان السلف يستحبون أن يعدلوا بين الأولاد فى القبلة كما مر بنا ، فلا بد من المساواة بينهما فى الحب والمعاملة وتقديم الهدايا وتعليم العلوم النافعة سواء بسواء .

---

(١) أحمد (١٧٦٩٣) ، النسائى (٣٦٢٧) ، أبو داود (٣٠٦١) .
(٢) مسلم (٣٠٦١) العبادات، أحمد (١٧٦٤٦) .
(٣) مسلم (٣٠٦١) .

الحضانات والمدارس الإسلامية :

هذا هو البديل الصالح للمدارس العلمانية التنصيرية ، وينبغى التوسع فى إنشائها وتيسير دخولها لتستوعب أعداداً أكثر ، كما تتطلب تغذيتها بالكفاءات العلمية والشرعية للتغلب على الصعاب التى تواجهها بسبب المناهج العلمانية المفروضة عليها والنظم الدراسية المعمول بها كالإحتفال بشم النسيم !! ، وما زالت هذه المدارس قليلة العدد ، تفتقر للكثير من الخبرات كما أن رسومها عالية ، لا يقوى عليها الكثير من أبناء المسلمين ، ومع ذلك فهى تجربة وليدة ناجحة ، قللت شيئاً من الشر والفساد ، وهذا فى حد ذاته طاعة لله ، فقد ربطت الأطفال بكتاب الله وسنة رسول الله ﷺ وصوبت لهم بعض المفاهيم الخاطئة ، ولم تعدم إبراز معانى القدوة الحسنة فى شخص القائمين عليها لحرصهم على دين الله ، وعلى إيجاد جيل مسلم ، ونسأل الله أن يثيبهم خيراً وإلا فهم يصارعون أمواجاً عاتية ﴿ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلاَّ أَن يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴾ [التوبة : ٣٢] .

هذه هي مملكتك :

فعودى إليها ، فهذا أرفق بك وبأولادك ، وقد حدد الشرع مكانك ، فقال سبحانه : ﴿ وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الأُولَىٰ ﴾ [الأحزاب : ٣٣] ، وقال النبى ﷺ فى الحديث الصحيح : « والمرأة راعية فى بيت زوجها ومسئولة عن رعيتها » ، وقد رأينا كيف ضاع الأبناء عندما انصرفت الأمهات إلى العمل وانشغل عنهم الآباء ، فافتقدوا الحنان ومعانى الأسوة والتوجيه ، وتركنا زمام ذلك بيد التليفزيون والشارع والمدرسة .

كان بمقدورك تحفيظ الأولاد كتاب ربهم وتعاهدهم بالأخلاق الإيمانية وتربيتهم على معانى السيرة النبوية والقصص القرآنى وهذا عمل كبير وضخم

يتطلب منك تفرغاً ، فالواحد من أبناءك يساوى ثروة ، نعيمها يتعدى الدنيا إلى الآخرة ، لا يقف أمامها بضعة جنيهات تُنفق على الموضات والمواصلات ، بل تفرغك لأطفالك فيه صيانة لنفسك ومحافظة عليك ، والسلامة لا يعدلها شيء ، فاتقى الله فى نفسك وفى أولادك وتحملى مسئوليتك تجاههم ﴿ فَلَنَسْئَلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْئَلَنَّ الْمُرْسَلِينَ (٦) فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيْهِم بِعِلْمٍ وَمَا كُنَّا غَائِبِينَ (٧) وَالْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ ﴾ [الأعراف : ٦ - ٧] .

[١٦] تعليم الطفل القرآن والحديث :

توصل الباحثون إلى أن النمو الفكرى للطفل يكون كبيراً قبل وصوله إلى سن الخامسة ، ومن ثم وجب الإهتمام بالأطفال فى هذه السن ، لأن لكل جهد فى هذه السن مردوداً كبيراً فى السنوات المقبلة ، وأعظم ما نهتم به كتاب ربنا جل وعلا . يقول السيوطى : تعليم الصبيان القرآن أصل من أصول الإسلام فينشأون على الفطرة ويسبق إلى قلوبهم أنواع الحكمة قبل تمكن الأهواء منها وسوادها بأكدار المعصية والضلال .

عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : سلونى عن سورة النساء فإنى قرأت وأنا صغير . « أخرجه الحاكم وقال : صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه » .

والقرآن له أثر عظيم فى نفس الطفل ، ويدل على ذلك ما رواه ابن عباس رضى الله عنهما قال : لما أنزل الله عز وجل على نبيه ﷺ : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا ﴾ [التحريم : ٦] ، تلاها رسول الله ﷺ على أصحابه ذات ليلة أو قال : يوماً ، فخر فتى مغشياً عليه ، فوضع النبى ﷺ يده على فؤاده فإذا هو يتحرك ، فقال : يا فتى قل لا إله إلا الله ، فقالها فبشره بالجنة ، فقال أصحابه : يا رسول الله أمن بيننا ، فقال رسول الله ﷺ : أما سمعتم قول الله عز وجل: ﴿ ذَلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِي وَخَافَ وَعِيدِ ﴾ [إبراهيم :

١٤] [١] رواه الحاكم وقال صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبى .

وينبغى أن يُعلم أن ملكة الحفظ أقوى جداً من ملكة الفهم عند الصغير والعكس يحدث عند الكبير ، فلنغتنم هذه الفرصة ونبادر بتحفيظ أبناءنا القرآن والعلوم النافعة ، وقد شاهدنا الكثيرين ممن حفظوا القرآن قبل بلوغهم سن العاشرة ، وقد حرص أبناء الصحابة والسلف الصالح بالإضافة لتعاهدهم القرآن ، على حفظ الأحاديث النبوية ومعرفة فقهها ، وكانوا يخدمون العلماء لقاء تلقى الحديث عنهم ، بل كانوا يرتحلون فى طلب الحديث ، وكان بعض الآباء يدفع مكافآت على حفظ الأطفال للأحاديث النبوية ، فياليتنا نَعودُ لمثل ما كان عليه رسول الله ﷺ وصحابته الكرام .

فكل خير فى اتباع من سلف وكل شر فى ابتداع من خلف

[١٧] التربية الجسمية :

كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول : علموا أولادكم السباحة والرماية ، ومروهم فليثبوا على ظهور الخيل وثباً ، فهذه الرياضات أعظم فائدة وأكبر نفعاً من كرة القدم ومشاهدة التليفزيون ، ومن عجيب الأمر أنها أصبحت مكلفة إذا قورنت بغيرها ، بل هى رياضة أولاد الذوات الآن !! .

وفى الحديث : أن رسول الله ﷺ مر بفتية يرمون ، فقال : « **ارموا يا بنى إسماعيل ، فإن أباكم كان رامياً** » رواه سعيد بن منصور .

وكان عليّ بن أبى طالب رضي الله عنه عدّاءاً ، وكان سلمة بن الأكوع يسابق الخيل فيسبقها ، ويُذكر أن الحجاج قال لمؤدب بنيه : علمهم السباحة قبل الكتابة ، فإنهم يجدون من يكتب عنهم ولا يجدون من يسبح عنهم ، وقد كان

---

(١) رواه الحاكم وقال صحيح الإسناد ولم يخرجاه .

الحسن والحسين رضوان الله عليهما يلعبان بين يدى رسول الله ﷺ ويركبان على ظهره وهو يصلى ، وكان يرى الأطفال وهم يلعبون ولا ينكر عليهم كما جاء فى الصحيحين عن أنس رضي الله عنه قال : « بينما كنت ألعب مع الغلمان فجاء رسول الله ﷺ وأرسلنى فى حاجة .. » [١] .

التعرف على ميول الصبى :

يقول ابن القيم رحمه الله : « ومما ينبغى أن يعتمد حال الصبى وما هو مستعد له من الأعمال ومهيأ له منها ، فيعلم أنه مخلوق له ، فلا يحمله على غيره ، وما كان مأذوناً فيه شرعاً ، فإنه إن حمله على غيرما هو مستعد له لم يفلح فيه ، وفاته ما هو مهيأ له ، فإذا رآه حسن الفهم ، صحيح الإدراك ، جيد الحفظ واعياً ، فهذه من علامات قبوله ، وتهيئته للعلم ، لينقشه فى لوح قلبه ما دام خالياً ، فإنه يتمكن فيه ، ويستقر ويزكو معه ، وإن رآه بخلاف ذلك من كل وجه وهو مستعد للفروسية وأسبابها من الركوب والرمى ، واللعب بالرمح وأنه لا نفاذ له فى العلم ولم يخلق له ، مكنه من أسباب الفروسية والتمرن عليها فإنه أنفع له وللمسلمين ، وإن رآه بخلاف ذلك ، وأنه لم يخلق لذلك ، ورأى عينه مفتوحة إلى صنعة من الصنائع ، مستعداً لها قابلاً لها ، وهى صناعة مباحة نافعة للناس ، فليمكنه منها ، هذا كله بعد تعليمه له ما يحتاج إليه فى دينه ، فإن ذلك ميسر على كل أحد لتقوم حجة الله على العبد ، فإن له على عباده الحجة البالغة ، كماله عليهم النعمة السابغة ، والله أعلم » أ . هـ .

فالتعرف على ميول الطفل ، بل والاستجابة لهذه الميول وترضيته حتى يرضى من الأساليب الناجحة فى كثير من المواطن ، وخصوصاً كلما كان أقرب إلى الصغر ويشهد لذلك ما قاله الأحنف بن قيس لمعاوية رضي الله عنه ، عندما

---

(١) البخارى ، ومسلم (٤٧١٣) عن ابن عباس أحمد (٢٠٤٣) .



سأله عن الولد ؟ فقال : يا أمير المؤمنين ثمار قلوبنا وعماد ظهورنا ، ونحن لهم أرض ذليلة وسماء ظليلة وبهم نصول على كل جليلة ، فإن طلبوا فأعطهم ، وإن غضبوا فأرضهم ، فيمنحونك ودهم ، ويحبونك جهدهم ، ولا تكن عليهم ثقلاً ثقيلاً فيملوا حياتك ويودوا وفاتك ويكرهوا قربك .

ربط الطفل بالمسجد :

وهذا المسلك من أعظم مسالك التربية والتعليم ، فالمسجد هو بيت الله وفيه يجتمع المحبون المخلصون الراكعون الساجدون الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر والحافظون لحدود الله ، وهؤلاء القوم لا يشقى جليسهم سواء كان كبيراً أو صغيراً ، وهم عندما يجتمعون مثل هذا الإجتماع المرحوم يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم تتنزل عليهم السكينة وتغشاهم الرحمة وتحفهم الملائكة ويذكرهم الله فيمن عنده ، ولهذا وغيره كان الناس يحرصون على أخذ أولادهم إلى المساجد فقد أخرج البخارى ومسلم عن الرُبيِّع بنت معوذ قالت : « أرسل رسول الله ﷺ صبيحة يوم عاشوراء إلى قرى الأنصار من كان أصبح صائماً فليتم صومه ، ومن كان أصبح مفطراً فليصم بقية يومه ، فكنا نصومه بعد ذلك ، ونُصوِّم صبياننا الصغار منهم ، ونذهب إلى المسجد فنجعل لهم اللعبة من العهن أى الصوف ، فإذا بكى أحدهم من الطعام أعطيناه إياه حتى يكون عند الإفطار » [(١)] .

وكان يصطحبون أطفالهم لصلاة العيد ، ويصلى الصغير خلف صفوف الرجال ، فقد كان النبى ﷺ يجعل الرجال قدّام الغلمان ، والغلمان خلفهم والنساء خلف الغلمان » [(٢)] ، رواه أحمد وكان النبى ﷺ يخفف من صلاته إذا سمع بكاء صبى ، ففى الحديث : « **إنى لأدخل فى الصلاة فأريد إطالتها**

---

(١) البخارى ، ومسلم (١٩١٩) .
(٢) أحمد (٢١٨٣٦) .

فأسمع بكاء الصبى ، فأتَجوَّز فى صلاتى مما أعلم من وَجْد أمه من بكائه » رواه البخارى ومسلم [١] .

ولا مانع من أن تحمل الأم صغيرها فى صلاتها حتى وإن كان متلبساً بالنجاسة ، إذ الصبى لا ينفك عن ذلك كما يقول شيخ الإسلام ابن تيمية ، وقد كان النبى ﷺ يحمل أمامة بنت زينت ، فإذا قام رفعها ، وإذا ركع وضعها » [٢] ولا يصح منع الصبى من دخول المسجد أو طرده أو الإساءة إليه ، والرواية التى فيها « جنبوا مساجدكم صبيانكم ومجانينكم » لا تصح وهى أيضاً مصادمة لما صح وثبت عن رسول الله ﷺ ، ثم أين يتربى الأطفال إذا منعناهم المساجد ؟!! .

مسك التعويد :

كما مر بنا ، فإن الطفل ليس من أهل التكليف ولكن هذا لا يمنع من تعويده الفضائل والطاعات ومعالى الأمور ، بحيث يشب وقد سهل عليه التزامها فقد ورد عن رسول الله ﷺ أنه قال : « **مروا الصبى بالصلاة إذا بلغ سن سبع سنين فإذا بلغ عشر سنين فأضربوه عليها** » رواه أبو داود [٣] ، وفى رواية الترمذى قال : « **علموا الصبى الصلاة ابن سبع سنين واضربوه عليها ابن عشر** » [٤] ، وقد علم النبى ﷺ سبطه الحسن ما يقوله فى دعاء القنوت ، كما كان يعلم الفتيان كيفية الأذان .

وعلى هذا النهج القويم سار الصحابة رضوان الله عليهم فى تعليم أبنائهم الوضوء وكيفية الصلاة ، وقد مر بنا كيف كانوا يأخذونهم إلى المساجد وإلى صلاة العيد ، ولم يكتف الأطفال بصلاة الفريضة وإنما تعدوها إلى النوافل

---

(١) البخارى (٦٦٦).
(٢) مسلم (٨٤٥)، النسائى (٨١٨)، أحمد (٢١٤٩٣).
(٣) ، (٤) أبو داود (سبق تخريجه) ، الترمذى (سبق تخريجه) .

وقيام الليل ، كما نقل البخارى عن ابن عباس رضى الله عنهما ، كما مر بنا أيضاً فى حديث الربيع بنت معوذ أنهم كانوا يصوِّمون الصغار ، فإذا بكى الصبى أعطوه لعب العهن « الصوف » فهذا يُشرع إذا كان الصبى مطيقاً للصيام ، ولم يشق عليه مشقة تتلفه .

وعن ابن عباس ﷺ : « **أن رسول الله ﷺ لقى ركباً بالروحاء فقال** « **مَنْ القوم** ؟ » قالوا : المسلمون ، فقالوا : من أنت ؟ **قال** : « **رسول الله** »، **فرفعت امرأة صبياً** فقالت : ألهذا حج ؟ ، **قال** : « **نعم ولك أجر** » رواه مسلم وغيره[(١)] ، وكانوا يخرجون عن أولادهم زكاة الفطر ، وإذا بلغ مال الصبى النصاب وحال عليه الحول القمرى ، كانو يؤمرون بإخراج زكاة المال ، كما كانوا يعودونهم البيع والشراء وقضاء الحاجات وكيفية إلقاء السلام ، فعن أنس ﷺ أنه مر على صبيان فسلم عليهم ، وقال : كان رسول الله ﷺ يفعله » ، رواه البخارى ومسلم [(٢)] .

وينبغى تعويد البنت ارتداء الحجاب الشرعى ويتأكد من ذلك إذا قاربت البلوغ أو أصبحت تشتهى ، ومن المستحب أيضاً تعويدهم سنة الاستخارة فى أمورهم كلها ، ما خاب من استخار الخالق واستشار المخلوق .

[١٨] تأديب وتربية الطفل على الأخلاق الإسلامية :

كان عمر بن الخطاب ﷺ يقول : « تأدبوا ثم تعلموا » ، وقال النخعى : كانوا إذا أتوا الرجل ليأخذوا عنه نظروا إلى سمته وصلاته وإلى حاله ، ثم يأخذون عنه ، وقال ابن عباس : اطلب الأدب فإنه زيادة فى العقل ودليل على المروءة ومؤنس فى الوحدة وصاحب فى الغربة ومال عند القلة .

---

(١) مسلم (٢٣٧٧) .
(٢) البخارى (٥٧٧٨) ، مسلم (٤٠٣١) السلام .

وقال البلخى : أدب العلم أكثر من العلم . وقال ابن المبارك : لا ينبل الرجل بنوع من العلم ما لم يزين علمه بالأدب ، وقال : طلبت العلم فأصبت شيئاً منه وطلبت الأدب فإذا أهله قد بادروا . وقال البعض : لا أدب إلا بعقل ولا عقل إلا بأدب ، وهو العون لمن لا عون له ، وذكروا أن الإيمان فى خمس حصون : اليقين ثم الإخلاص ثم أداء الفرائض ثم السُنن ، ثم حفظ الآداب فما دام يحفظ الآداب ويتعاهدها فالشيطان لا يطمع فيه ، وإذا ترك الآداب طمع الشيطان فى السُنن ثم فى الفرائض ثم فى الإخلاص ثم فى اليقين .

ومن هنا كان لابد من تعلم الآداب وحُسن السمت والقصد والحياء ، وهذا مطلوب شرعاً وعرفاً ، روى الترمذى عن سعيد بن العاص ﷺ أن رسول الله ﷺ قال : « **ما نحل والد ولداً أفضل من أدب حسن** » [(١)] ، ولذلك قال عليّ بن المدينى (شيخ البخارى) توريث الأولاد الأدب خير لهم من توريث المال ، الأدب يكسبهم المال والجاه والمحبة للإخوان ويجمع لهم بين خيرى الدنيا والآخرة .

لابد من أدب مع الله بحيث نؤمن به سبحانه ونحبه من كل قلوبنا ونقدم أمره على أمر من عداه ونستشعر نعمه علينا وآياته فى كونه وقدرته على خلقه ، وأدب مع القرآن ، فهو كلام الله أنزله على رسول الله ﷺ وتعبدنا بتلاوته ، ولابد من تفهم معانيه وتحليل حلاله وتحريم حرامه والإنصات عند سماعه وأدب مع رسول الله ﷺ ، فهو أكرم وأشرف مخلوق ، فلابد من محبته والإنقياد لأمره والعمل بحكمه والحرص على الاستنان بسنته ومحبة الصحابة ومن تابعهم بإحسان ، من جملة الإيمان الذين ندين به ، فلابد من معرفة سيرتهم العطرة .

كما لابد من توقير علماء الأمة واحترامهم ، فالعلماء ورثة الأنبياء ،

---

(١) الترمذى (١٨٧٥) .

ويحمل هذا العلم من كل خلف عدوله ويُعلم الصبى احترام وتوقير الكبير والعطف على الصغير ومراعاة حقوق الجيران والإخوان والتأدب حال الإستئذان وتناول الطعام ، ومرعاة ظاهره وباطنه والتعامل فى ذلك كله مع ربه ، فهو سبحانه الذى بيده الجنة والنار ، وهو أحق من ذُكِر وأحق من شُكر وأحق من عُبد .

وقد اهتم النبى ﷺ والسلف الصالح بغرس الأخلاق الفاضلة فى الأطفال كالصدق وحفظ الأسرار والأمانة وسلامة الصدر من الأحقاد ، ومن ذلك ما رواه أبو داود عن عبد الله بن عامر قال : دعتنى أمى يوماً ورسول الله ﷺ قاعد فى بيتنا فقالت: تعالَ أعطك ، **فقال لها رسول الله ﷺ**: « **ما أردت أن تعطيه** ؟ » قالت : أردت أن أعطيه تمراً ، **فقال لها** : « **أما إنك لو لم تعطه شيئاً كُتبت عليك كذبة** » (١) ، وأخرج مسلم عن عبد الله بن جعفر رضى الله عنهما - وكان صغيراً - قال : « أردفنى رسول الله ﷺ ذات يوم خلفه فأسر إليّ لا أحدث به أحداً من الناس وكان أحب ما استتر به رسول الله ﷺ - لحاجته - هدف أو حائش نخل (٢) ، وقال ﷺ لأنس : « **يا بنى إن قدرت أن تصبح وتمسى وليس فى قلبك غش لأحد فافعل** » رواه الترمذى وقال : حديث حسن غريب (٣) .

الحذر من ظهور الأب بمظهر القسوة والأم بمظهر الرأفة :

فهذا من شأنه أن يولد نفور الابن من والده ، وارتمائه فى حضن أمه ويصعب بذلك علاج الابن ، ويؤدى هذا المسلك لاستهانته بالأوامر التى توجه إليه وتعرفه كيفية الخلاص منها ، بل قد تدعوه للكذب للإنفلات من العقاب وتبرير التصرفات ، قد يحدث ذلك خصوصاً إذا كان مسلكاً مستديماً مع الوالدين .

---

(١) أبو داود (٤٣٣٩) الأدب .
(٢) مسلم (٥١٧) الحيض .
(٣) الترمذى (٢٦٠٢) .

فلابد من الإعتدال والتوسط فى الأمور كلها ، ولابد من إشعار الصبى بمحبة والده له وشفقته عليه ، ومحبة والدته لأدبه وتحليه بالفضائل وتخليه عن الرذائل ، كما لابد من الحلم والأناة والرفق والبعد عن العنف « **فإن الله رفيق يحب الرفق فى الأمر كله** » متفق عليه [١] ، فالليونة والمرونة والتدرج فى تعليمه الصلاة وغيرها مطلوب ، وكذلك الأخذ بأيسر الأمرين ما لم يكن إثماً ، فهذا هو رسول الله ﷺ ويتأكد هذا التيسير فى التعامل مع الصبيان ، كما لا بد من الابتعاد عن الغضب المتلف المدمر الذى يخرج به الإنسان عن شعوره ولا يملك معه جوارحه وقد قال النبى ﷺ للرجل: « **لا تغضب** » [٢] ، رواه البخارى كما أن تخول الولد بالموعظة الحسنة فى مناسبتها وبطريقة مشوقة له وقعه الكبير فى نفس الطفل ، ولا مانع من تكرار الأمر له ، فقد قال ابن مسعود ﷺ :« عودوهم الخير فإن الخير عادة » ، ومداعبته وحسن ندائه وإثارة انتباهه، تُعين الصبى على الإستجابة وتبعده عن التمرد ، فقد كان النبى ﷺ تارة يخاطب الطفل بكنيته ويقول : « **يا أبا عمير ما فعل النغير** » [٣] ، وتارة يخاطبه بطفولته فيناديه : « **يا غلام سم الله تعالى، وكل بيمينك وكل مما يليك** » [٤] ، وتارة يناديه بنداء العاطفة : « **يا بنى إذا دخلت على أهلك فسلم** » [٥] .

وكان عمر رضي الله عنه يقول لابن عباس: « قل يا ابن أخى ولا تحقر نفسك » ، وكان ابن عباس رضى الله عنهما يحضر فى مجالس العلم ويتكلم بحضرة كبار الصحابة رضى الله عنهم أجمعين .

مراعاة السنن الشرعية والكونية في تربية الطفل :

إتباع السنن لا يعود إلا بالخير والنفع على الكبير والصغير ، ومن هذه

---

(١) البخارى (٦٤١٥) مسلم (٤٦٩٧) البر والصلة .
(٢) البخارى (٥٦٥١) .
(٣) البخارى (٥٦٦٤) .
(٤) سبق تخريجه .
(٥) الترمذى (٢٦٢٢) الاستئذان .

السنن سنة السواك ، أو استخدام أى وسيلة لتنظيف الأسنان ، ففى الحديث : « **لولا أن أشق على أمتى لأمرتهم بالسواك عند كل صلاة** » [١] ، وتقليم الأظفار خصلة من خصال الفطرة كما ورد فى الحديث الصحيح .

ويُعود الصبى سُنن الأكل والشرب ، فإذا أكل سمى الله ، وأكل من أمامه كما ورد فى الحديث : « **ما ملأ آدمى وعاء شراً من بطنه بحسب ابن آدم لقيمات يُقمن صلبه فإن كان لا محالة فثلث لطعامه وثلث لشرابه وثلث لنفسه** » رواه أحمد والترمذى [٢] .

وإذا شرب سمى الله ، وشرب ثلاثاً وتنفس خارج الإناء لما رواه أنس أن رسول الله ﷺ : « **كان يتنفس إذا شرب ثلاثاً** » [٣] ، رواه مسلم ، وزاد الترمذى : « **أنه أروى وأبرأ وأمرأ** » ، **وينام على شقه الأيمن لما رواه البخارى ومسلم** : « **إذا أتيت مضجعك فتوضأ وضوءك للصلاة ثم اضطجع على شقك الأيمن وقل : اللهم أسلمت نفسى إليك ، ووجهت وجهى إليك ، وفوضت أمرى إليك ، وألجأت ظهرى إليك ، رغبة ورهبة إليك ، لا ملجأ ولا منجى منك إلا إليك ، آمنت بكتابك الذى أنزلت وبنبيك الذى أرسلت واجعلهن آخر ما تقول** » [٤] .

ويُعوّد الصبى النوم بعد العشاء ، والاستيقاظ المبكر لصلاة الفجر ويُجنب السهر ، فقد روى الحاكم وصححه ووافقه الذهبى مرفوعاً : « **إياك والسمر بعد هدأة الليل ، فإنكم لا تدرون ما يأتى من خلفه** » [٥] ، ورأى ابن عباس رضي الله عنهما ابناً له نائماً نومة الصبحة قال له : قم ، أتنام فى الساعة التى تقسم فيها

---

(١) مسلم (٣٧٠) .
(٢) أحمد (١٦٥٥٦)، الترمذى (٢٣٠٢) .
(٣) مسلم (٣٧٨١) ، الترمذى (١٨٠٥) .
(٤) البخارى (٥٨٣٨) ، (٤٨٨٤) .
(٥) رواه الحاكم وصححه ووافقه الذهبى .

الأرزاق ، وروى البيهقى دخول النبى ﷺ على فاطمة باكراً وشاهدها نائمة فأيقظها وقال لها : « **قومى فاشهدى رزق ربك** » (١) .

ولابد من إبعاد الطفل عن أماكن الأمراض الوبائية ، ففى الحديث : « **لا يوردن ممرض على مُصح** » رواه أحمد وأبو داود والنسائى (٢)، وينبغى الإسراع بعلاج الصبى إذا أصيب، وقد كان رسول الله ﷺ يعوذ الحسن والحسين ويقول: « **أعيذكما بكلمات الله التامة ، من كل شيطان وهامة ، ومن كل عين لامَّة** » رواه البخارى (٣) ، كما كان يدعو للأطفال ويقوم برقيتهم .

وينبغى تعويد الطفل غض البصر وحفظ العورة وفى سن العاشرة حيث تكون الغريزة فى طريقها للنمو ، نبدأ فى التفريق بين الأطفال أثناء النوم ، والمباعدة بينهما لقول النبى ﷺ : « **مروا أولادكم بالصلاة وهم أبناء سبع سنين واضربوهم عليها وهم أبناء عشر سنين وفرقوا بينهم فى المضاجع** » رواه أبو داود بسند حسن (٤) .

وكذلك يُمنع الطفل من الإختلاط والمهيجات الجنسية ، فقد حُكى الكثير من الشر والفساد الذى نجم بسبب التسيب والإهمال فى هذا الأمر ، ومن الأمور النافعة شرح سورة النور وتحفيظها للأطفال وخصوصاً المميزين منهم ، وينبغى السعى فى تزويج الأبناء والبنات بصفة خاصة فى سن مبكرة ، إذا كانت البنت مطيقة لذلك ، ففيه مصلحتها وقد رأينا الكثير من الشرور والمفاسد التى حدثت بسبب تأخير سن الزواج بزعم ، حتى تحصل على الشهادة الجامعية وتجهز نفسها من عملها !! إلى غير ذلك من التبريرات التى تدل على عدم معرفتنا بطبائع الأشياء وجهلنا فى ذات الوقت بالسُنن الشرعية والسُنن الكونية .

---

(١) رواه البيهقى .
(٢) رواه البخارى (٥٣٢٨) مسلم (٤١١٧) .
(٣) رواه البخارى « سبق تخريجه » .
(٤) سبق تخريجه .

علامات بلوغ الذكر والأنثي وما يتبع ذلك :

بلوغ الذكر بواحد من أمور ثلاثة :

١ ـ إنزال المنى بإحتلام أو غيره .

٢ ـ نبات شعر العانة .

٣ ـ بلوغ تمام خمس عشرة سنة .

وبلوغ الأنثى يحصل بما يحصل به بلوغ الذكر وزيادة أمر رابع وهو الحيض ، وفى الحديث : « **رفع القلم عن ثلاثة عن النائم حتى يستيقظ وعن الصغير حتى يكبر وعن المجنون حتى يفيق** » ، رواه أحمد وأبو داود وصححه الحاكم ، وقوله ﷺ : « حتى يكبر » أى حتى يبلغ ، وحينئذ يجرى عليه قلم التكليف وتجب عليه الصلاة والصيام وغيرها من الفرائض ، أما قبل البلوغ فالأمر يكون على سبيل التعويد والاستحباب ، وإذا زوج الولى الصغير ، ثبت حق الإختيار بعد البلوغ للذكر والأنثى بلا إكراه ولا إجبار .

[١٩] ومن حق الصبي أن يبتعد الوالدان عن التدخين :

الدخان ضار جداً بالصحة ، وقد كتبوا ذلك أيضاً على الإعلانات وعلى كل علبة تُباع ، وقد قال النبى ﷺ فيما ثبت عنه : « لا ضرر ولا ضرار »(١) وروى عنه النهى عن كل مسكر ومفتر ، وقد ذكر العلماء أن الإنسان لو أنفق درهماً فى حرام لحُجر عليه فى نفقة هذا الدرهم ، وقالت لجنة الفتوى (*) بالسعودية بحرمة بيعه وشراءه وزراعته وصناعته والإتجار فيه .

والدخان له تأثير ضار على الطفل أثناء الولادة وبعدها كما هو مقرر ومعلوم عند الأطباء ، والمخدرات كالحشيش والأفيون والهيروين أشد ، فلنتق الله فى أولادنا ، وللأسف فقد شاع شرب الدخان ليس فقط وسط الرجال ، بل

---

(١) موطأ مالك (١٢٣٤) وابن ماجه (٢٣٣١) ، وأحمد (٢٧١٩) .

(*) وكذلك قالت لجنة الفتوى بمصر .

أيضاً بعض المتفرنجات يحرصن على شربه إظهاراً للرقى الاجتماعية .. زعموا !!.

[٢٠] حق الطفل في إبداء رأيه :

الحق مقبول من كل من جاء به ، سواء كان صغيراً أم كبيراً ، والحق ما وافق الكتاب والسُنة ، وهو أبلج وعليه نور ، والفراسة قد يؤتاها الإنسان وهو صغير ، ولا حجر على سعة رحمه الله تعالى ، وقد ثبت : « أن رسول الله ﷺ كان في مجلسه وعن يمينه عبد الله بن عباس رضي الله عنهما – وهو غلام – فشرب النبي ﷺ وكان من عادته أن يعطى الإناء لمن يجلس عن يمينه ، فنظر إلى عبد الله بن عباس يستئذنه في أن يسقى من هو أكبر منه لكن عبد الله لم يسمح وتمسك بحقه ، فأعطاه النبي ﷺ الإناء » [١] .

وحدث أن مر عمر بن الخطاب رضي الله عنه بالطريق – وهو خليفة – فأسرع الصبية خوفاً وهيبة منه ، لكن عبد الله بن الزبير بن العوام لم يفر ، فسأله عمر : لماذا لم تفر مثل أصحابك ؟ فأجابه الغلام : ليست الطريق بضيقة فأوسع لك ، ولم أرتكب ذنباً فأخاف منك ، فقال عمر لمن معه : لو عاش هذا الغلام فسيكون له شأن .

ومن ذلك قول الغلام لأمه: يا أماه اصبرى فإنك على الحق عندما تقاعست أن تقع فى النار التى أضرمها أصحاب الأخدود، والحديث عند مسلم.

ويُذكر أن عمر بن عبد العزيز التَقَى بوفود القبائل ، فأراد غلام صغير أن يتحدث فقال له عمر : انتظر حتى يتحدث من هم أكبر منك سناً ، فقال له الغلام : يا أمير المؤمنين إن الإنسان بأصغريه قلبه ولسانه ، ولو كان الأمر بالسن لكان هناك من هو أحق منك بالخلافة لأنه أكبر منك ، فاستحسن عمر جوابه ، وقال : تحدث يا غلام ، وقد كان عمرو بن سلمة يؤم القوم وعمره سبع سنوات لكونه كان حافظاً لكتاب الله .

(١) البخارى (٥١٨٩) مسلم (٣٧٨٦) الأشربة .

التركيز على الابن الأول :

إن هذا الأمر له قيمته الكبيرة فى سلوكيات الأطفال الذين سيأتون بعد ذلك فأعينهم معقودة عليه ، وهم يلازمونه الساعات الطوال ، فى اللعب والنوم والطبع كما يقولون يسرق من الطبع ، وكل مقدمة لها نتيجة ، وفساد الإنتهاء من فساد الإبتداء ، والمرء على دين خليله ، وكلها معانٍ ثابتة ومشاهدة ولذلك وجب الإهتمام بالإبن الأكبر ليكون بمثابة الأسوة والقدوة الحسنة لإخوته الصغار ، ولا سبيل لهذا التركيز وهذا الإهتمام إلا بربطه هو كذلك برسول الله ﷺ في علمه وعمله وحياته كلها ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيراً (٢١) ﴾ [الأحزاب : ٢١] ، إن هذا الاعتناء له عائده الكبير ومردوده الضخم بإذن الله وسيكون سبباً لراحتك فى تربية بقية الأبناء .

الحذر من قصر الترغيب والترهيب على النواحي المادية :

حذر الشيخ الألبانى – رحمه الله – المربين من قصر الترغيب والترهيب على النواحى المادية ، فلا بأس من مكافأة الصبى وتشجيعه وإدخال السرور إلى نفسه إذا أصاب وعقوبته إذا استدعى الأمر ذلك ، ولا حرج من زرع التنافس البناء بين الأطفال وكل ذلك وردت به الآثار ولكن لابد من غرس النواحى الإيمانية فى حسه وشعوره ، فهو يصلى لكى يُرضى ربه ويُدخله الجنة ، وينتهى عن الكذب ، لأن الكذب فجور والفجور يهدى إلى النار ، ولا أصلح من المنهج القرآنى فى تربية الصغير والكبير ، فالقرآن بَشَّر مَن آمن بالجنة ، وأنذر من خالف بالعذاب واختلطت الأحكام فيه بمعانى الترغيب والترهيب ، وقد نجد ذلك فى الآية الواحدة ، والجزاء فى الأصل أخروى ، وإن كان هذا لم يمنع من ورود عقوبات دنيوية كالتعزير والحدود ، ومن تابع سُنة رسول الله ﷺ سيجد أن النبى ﷺ استخدم مسلك الترغيب والترهيب مع الأطفال فى الكثير من الحالات وفى

مقدمتها بر الوالدين ، فرغب فى برهما وأرهب من عقوقهما .

حق الطفل المغترب :

إذا دعت الحاجة أو الضرورة للسفر لبلاد المشركين ، كتعلم أو تطبب أو تجارة أو دعوة ، فلابد وأن يكون الإنسان قادراً على إظهار دينه - إذ دينه هو أغلى ما يملك - والسلامة لا يعدلها شىء ، ومعنى إظهار الدين أن يبين ماهم عليه من كفر وأن يدعوهم للدخول فى الإسلام ، ويأمن قبل ذلك على دينه ، وقد كان الإمام مالك رحمه الله يُفسِّق من سافر لبلاد الهند للتجارة إلا للقادر على إظهار دينه وقد شاهدت أبناء المسلمين فى فرنسا وإيطاليا واليونان ، كيف أصبح لسانهم وعاداتهم وأخلاقهم أجنبية وخصوصاً إذا كانت الأمهات أجنبيات « كتابيات » .

ونحن لا ننكر أهمية إتقان الطفل للغة الأجنبية ، ونعلم أن النبى ﷺ قال لزيد بن ثابت - وكان غلاماً - : « **يا زيد تعلم لى كتاب يهود فإنى والله ما آمن يهوداً على كتابى ، فتعلمته فما مضى لى نصف شهر حتى حذقته فكنت أكتب لرسول الله ﷺ إذا كتب وأقرأ كتابهم إذا كتبوا إليه** » رواه أبو داود والترمذى [١] ، وفى رواية : أتحسن السريانية فإنها تأتينى كتب ؟ ، قلت : لا ، قال : فتعلمها ، فتعلمتها فى سبعة عشر يوماً » .

لا ننكر أهمية ذلك ، ولكن الذى ننكره ، أن يصير لسان الطفل أعجمياً ، أو أن تأتى اللغة الأجنبية على حساب اللغة العربية لغة القرآن ، فهذا عمر بن الخطاب رضي الله عنه يمر على صبية يرمون بالنبال فيخطئ أحدهم فى كلامه فينصب المرفوع فيقول : يا أمير المؤمنين إننا قوم « متعلمين » ، فيغضب

(١) مسند الإمام أحمد جـ ٨ صفحة (جـ٨ ص ١٤٦ جـ ٢١٦٧٤) .

عمر رضي الله عنه لهذا الخطأ ويقول : « والله إن خطأكم فى رميكم أحب إليّ من خطأكم فى لغتكم » .

لابد من السعى فى إنشاء المدارس الإسلامية فى البلدان الأجنبية ، ولابد من إهتمام خاص بأبنائنا هناك حتى ينشئوا نشأة إسلامية ، وهذا يطلب قيام السفارات والجاليات الإسلامية بواجبها فى الدعوة إلى الله والتعاون على البر والتقوى وإيصال الحق إلى الخلق فى ربوع العالمين .

لمسة حنان وهمسة عتاب :

الإحصائيات فى مصر تقول : إن قرابة ١٠ ٪ من سكان مصر معوقون وذوو عاهات ، وما هو موجود هنا ، موجود هناك بنسب متفاوتة ، وهؤلاء يحتاجون لعناية ورعاية أكثر من غيرهم ، وهى متأكدة لأسباب كثيرة ، ففى كل ذى كبد رطبة أجر ، والراحمون يرحمهم الرحمن ، والمؤمنون تتكافأ دماؤهم ويسعى بذمتهم أدناهم ، وهم يد على من سواهم ، والمؤمن مرآة أخيه ويحب لأخيه ما يحبه لنفسه ، ومثل المؤمنين فى توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى ، والضعيف أمير الركب ، وقد أوجب علينا الشرع التعاون على البر والتقوى فهلا قدمنا لهم الرعاية الطبية والعلمية ، وسائر ما يحتاجون إليه ، تخشى من عاهات نفسيه تنصب على المجتمع نتيجة إهمال هؤلاء وفقدانهم الحنان ، أو أن ترتفع أكف ضراعة المظلومين منهم على الناس من حولهم فيكون الدمار والهلاك ، فالجزاء من جنس العمل ، ولا ننسى أن بعض هؤلاء المعوقين لديه مواهب فذة وبراعة وتميز فى الكثير من المجالات ، ولابد من الإنتفاع بهم ، وهذا يدعونا لبذل المزيد من الإهتمام والرعاية .

أمارات النجابة خَلقاً وأخلاقاً

أ - أمارات النجابة خلقاً :

جاء في كتاب « أنباء نجباء الأبناء » لمحمد بن ظفر المتوفى سنة ٥٦٧هـ ما نصه : فمن ذلك كبر هامته ، وسيلانُ غُرته ، والغُرة هو ما استدق منبته من مقدِّمِ شعر الرأس مشرفاً على وسط الجبهة ، وأن تكون الغرة بين نزعتين ، وهما موضعان من مقدم الرأس فوق الجبهة ولا شعر عليها ، والغرة بينهما ، ومنه اتساع جبهته ووضوحها والعرب تكره قرن الحاجبين وزَرَقَ العينين .

وقد ورد في بعض الحديث : « أن النبي ﷺ كان مقرون الحاجبين » ، فإن صح هذا فعله قرنٌ خفي وأما شدة القرن ، وكثرة الشعر بين الحاجبين وسيلانه على الأنف فمذموم جداً ، ويستحب في العينين السعة من غير جحوظ ولا اضطراب ويستجب ارتفاع قصبة الأنف ، وسعة الأشداق وطول اللسان ، ومن صفة السيد إنكسار طرفه ما لم يغضب ، صفات الشجاعة والسيادة حدة النظر ، ويكره : شدة استدارة الوجه ، وقصر العنق كما يكره إفراط طولها ودقتها ، ويستحب غلظ العنق ، وسعة الصدر وبُعد ما بين الكتفين ، ولكن يُكره شُخُوصُ أعلاهما ، كما يكره إنحناؤهما وتطامنهما « خضوعهما » أيضاً ، ويستحب طول الساعدين والأصابع وخَمَصُ البطن ، وقلة لحم الإليتين ، وقد يكون السيد بُطيناً وكثير لحم الإليتين ، ولكن يكره كثرة لحم القدمين وإفراط غلظ الساقين ، ومن دلائل نجابة الغلام طول غُرْلَته ، وهي الجلدة التي يقطعها الخاتن ، هذه أوصاف من خَلْقه .

ب - أمارات النجابة أخلاقاً :

قال : وأما أماراتُ أخلاقه فيدل على سيادته تغاضيه عن الأذى وقلة شرهه إلى الطعام ، ولا تكره كثرة أكله ، وإنما يكره حرصه على الطعام وشرهه إليه .

ويدل على سيادته تغافله عن الشيء يعلمه ، ولذلك يُحمد إقتصاده فى غيرته ، لأن ذلك من التغافل والتساهل ، والغيرة محمودة مأمور بها ، وإنما المذموم إستطارتها وظهورها تسرعاً إلى الظنة « التهمة » من غير سبب ظاهر ، ويُكره تصنعه « تكلفه » فى اللباس والمشية والعِمة ، ولذلك قيل عِمامة السيد مُلَوَّثة « ملوية » أى يديرها كيفما اتفق . ويدل على سيادته أَنَفَتُه من صُحبة بنى الأنذال ، وأُلفتُه لبنى الأشراف ، وقوله للصبيان : من يكون معى ؟ وتعالوا أكن أميركم ، ويكره تسرعه إلى الشتم ، وبذاءةُ لسانه ، ولن يسود غموم ولا كذوب ، وقلما ساد بخيل أو حسود . وفيما ذكرناه قنع والله المستعان أ . هـ .

ولا غرابة فى ذكر بعض أمارات النجابة ، فالملامح تدل على طبيعة صاحبها وخصوصاً ملامح الوجه ، وقد قال عبد الله بن سلام عندما رأى النبى ﷺ : فعلمت حين رأيته أن وجهه ليس بوجه كذاب ، وعموماً فضابطنا وميزاننا هو رسول الله ﷺ ، فهو أفضل الناس خَلْقاً وخُلُقاً ، وقد أثنى عليه سبحانه بقوله : ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ۝٤ ﴾ [القلم : ٤] .

في ذكر النجباء من الأولاد :

قال ابن عباس رضى الله عنهما : غرامة « علم أو معرفة » الصبى زيادة فى عقله ، وقال البعض : الحياء فى الصبى خير من الخوف ، لأن الحياء يدل على العقل ، والخوف يدل على الجبن ، وقالت ماوية بنت النعمان بن كعب لزوجها لؤى بن غالب : أى أولادك أحب إليك ؟ قال : الذى لا يرد بسطة يده بخل ولا يلوى لسانه عِىٌّ « العى ضد البيان » ولا يغير طبعه سفه ، يعنى كعب ابن لؤى ، وسئلت أعرابية عن ابنها فقالت : أنفع من غيث « مطر » وأشجع من ليث « أسد » يحمى العشيرة ويبيح الذخيرة ، ويحسن السريرة .

قال أحمد بن النضر الهلالى : سمعت أبى يقول : كنت فى مجلس سفيان بن عيينة فنظروا إلى صبى دخل المسجد فتهاونوا به لصغر سنه ، فقال

سفيان : ﴿ كَذَٰلِكَ كُنتُم مِّن قَبْلُ فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْكُمْ ﴾ [النساء :٩٤] ، ثم قال : يا نضر لو رأيتنى ولى عشر سنين طولى خمسة أشبار ، ووجهى كالدينار ، وأنا كشعلة نار ، ثيابى صغار وأكمامى قصار ، وذيلى بمقدار، ونعلى كآذان الفار ، اختلف إلى علماء الأمصار ، مثل الزهرى وعمرو بن دينار ، أجلس بينهم كالمسمار ، محبرتى كالجوزة ، ومقلمتى كالموزة ، وقلمى كاللوزة ، فإذا دخلت المجلس قالوا : أوسعوا للشيخ الصغير ، أوسعوا للشيخ الصغير ، ثم تبسم ابن عيينة وضحك .

وقد ذكرنا أن نجابة الصبى قد تَبين بإختياراته لمعالى الأمور ، فإن الصبيان قد يجتمعون للعب فيقول عالى الهمة : من يكون معى ويقول القاصر الهمة : مع من أكون .

في ذكر الحمقي منهم :

قيل : إن الحمق يتولد غريزة ولا يتغير ، وأما الرعونة « الميوعة والليونة » فإنها تحدث من مخالطة النساء وتزول ، وأنشد بعضهم :

وعلاج الأبدان أيسر خطباً   حين تعتل من علاج العقول

قال رجل لابنه وهو يختلف إلى المكتب : فى أى سورة أنت ؟ قال : فى لا أقسم بهذا البلد ووالدى بلا ولد ، فقال لعمرى من كنت أنت ولده فهو بلا ولد .

ووجّه رجل ابنه ليشترى له حبلاً طوله عشرون ذراعاً فعاد من بعض الطريق وقال : يا أبى فى عرض كم ؟ فقال : فى عرض مصيبتى بك .

وقيل لأعرابى : كيف ابنك ؟ قال : عذب رعف « قدم به » على الدهر وبلاء لا يقوم معه الصبر .

وطار لابن يزيد بن معاوية باز « نوع من القصور » فأمر بغلق أبواب دمشق لئلا يخرج منها .

ومرض صديق لحامد بن العباس فأراد أن ينفذ إليه إبنه يعوده فأوصاه وقال : إذا دخلت فاجلس فى أرفع المواضع وقل للمريض : ما تشكو ، فإذا قال كذا وكذا فقل : سليم إن شاء الله ، وقل : من يجيئك من الأطباء ؟ فإذا قال : فلان فقل : مبارك ميمون ، وقل له : ما غذاؤك ؟ ، فإذا قال : كذا وكذا ، فقل : طعام محمود ، فذهب الابن فدخل على العليل وكانت بين يديه منارة « ما يوضع فوقها السراج » فجلس عليها لارتفاعها فسقطت على صدر العليل فأوجعته ، ثم جلس فقال للعليل: ما تشكو ؟ فقال بضجرة : أشكو علة الموت ، فقال : سليم إن شاء الله ، ثم قال : فمن يجيئك من الأطباء ؟ قال : ملك الموت ، قال : مبارك ميمون ، ثم قال : فما غذاؤك ؟ قال : سم الموت ، قال : طعام طيب محمود .



نصيحتي لأولادي وأولاد المسلمين

شبوا باسم الله ، وسيروا على بركة الله ، فأمامكم طريق طويل ، تحيون فيه ما أمات القوم من السنن ، وتجددون فيه العهد مع ربكم على إظهار شعائر دينكم ، وعلى أن تكونوا لله جنوداً مخلصين ، لا يهدأ لكم بال دون إبلاغ الحق للخلق ، ترتفعون إلى مستوى إسلامكم علماً وعملاً ، خلقاً وإعتقاداً ، فلا سعادة إلا فى طاعة الله ولا عز إلا فى مرضاته سبحانه .

واعلموا أن من ضيع أمر الله ، ضاع فى دنيا الناس ولا نصيب له فى الآخرة إلا النار ، فالجزاء من جنس العمل ﴿ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ ﴾ [فصلت : ٤٦] .

والسُنن لا تعرف المحاباة ولا المجاملات ، وأنتم الآن فرصتكم كبيرة وعظيمة فما زلتم فى بداية الطريق فقصروا آمالكم وأثبتوا آجالكم بين أعينكم واستحبوا من الله حق الحياء ، وقد وجدتم على الخير أعواناً ، فلله الحمد الذى بنعمته تتم الصالحات ، وإن كانت غربة الدنيا من حولكم شديدة ، ولكن لا يهلك من اعتصم بجناب الله وأناب إليه وتوكل عليه، فأكثروا من دعائه والتضرع إليه، وليقل كل منكم لنفسه ﴿ وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَىٰ ﴾ [طه : ٨٤] ، وإن صغر سنك فقد كبُر عقلك ، وشياطين الإنس والجن من حولك يحاولون إضلالك فكن لهم بالمرصاد ، واستعن بخالق الأرض والسماوات ، فدورك كبير فى إستعادة أمجاد هذه الأمة ، والمستقبل للإسلام بغلبته وظهوره على الأديان كلها ، فكن على ثقة بوعد الله ، الذى لا يتخلف عن عباده المؤمنين ، واستمسك بمثل ما كان عليه رسول الله ﷺ وصحابته الكرام ، وجدد سيرة خالد بن الوليد وصلاح الدين الأيوبى ، وإلا فنخشى أن نتوه فلا يعثروا لنا فى التاريخ على أثر ، كما تاهت قبائل وأمم بسبب نسيانهم لدين ربهم،قال تعالى :

﴿ فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّىٰ إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ (٤٤) فَقُطِعَ دَابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (٤٥) ﴾ [الأنعام : ٤٤ ، ٤٥] ، ولذلك حذرنا سبحانه من نسيانه فقال : ﴿ وَلا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ أُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ (١٩) ﴾ [الحشر : ١٩] .

وإذا كان الدين النصيحة كما قال رسول الله ﷺ ، فهذه نصيحتي أسديها لك ، فما كان فيها من خير وبر وهدى فمن الله ، لك غنمها وعليَّ غرمها ، والله المستعان وعليه التكلان ولا حول ولا قوة إلا بالله .

فاللهم أحسن عاقبتنا في الأمور كلها وأجرنا من خزي الدنيا وعذاب الآخرة .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

وكتبه

الشيخ / سعيد عبد العظيم

غفر الله له ولوالديه وللمسلمين



الخاتمة :

هيا بنا نعمل ونجتهد فى طاعة الله ، فلا وقت نضيعه ، وكلنا بحاجة لعمل صالح يقدمه بين يدى موته ، قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ (١٨) ﴾ [الحشر : ١٨] ، واجباتنا كثيرة وتربية الأولاد تربية إيمانية فرض عين ، ولن تزول قدمنا من عند ربنا حتى نُسأل يوم القيامة ، فلنتق الله ، من قبل أن يأتى يوم لا مرد له من الله ، قال تعالى : ﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ (٤٦) ﴾ [فصلت : ٤٦] .

قال ابن القيم : قال بعض أهل العلم : إن الله سبحانه يسأل الوالد عن ولده يوم القيامة قبل أن يسأل الولد عن والده ، فإنه كما أن للأب على ابنه حقاً ، فللإبن على أبيه حق ، فكما قال تعالى : ﴿ وَوَصَّيْنَا الإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا ﴾ [العنكبوت : ٨] .

قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ ﴾ [التحريم ٦] ، قال عليّ بن أبى طالب : علموهم وأدبوهم ، وقال تعالى : ﴿ وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ ﴾ [النساء : ٣٦] ، وقال النبى ﷺ : « اعدلوا بين أولادكم »[(١)] .

فوصية الله للآباء بأولادهم سابقة على وصية الأولاد بأبائهم ، قال الله تعالى : ﴿ وَلا تَقْتُلُوا أَوْلادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلاقٍ ﴾ [الإسراء : ٣١] ، فمن أهمل تعليم ولده ما ينفعه وتركه سدى ، فقد أساء إليه غاية الإساءة ، وأكثر الأولاد إنما جاء فسادهم من قبل الآباء وإهمالهم لهم ، وترك تعليمهم فرائض الدين وسننه ، فأضاعوهم صغاراً ، فلم ينتفعوا بأنفسهم ، ولم ينفعوا آباءهم

---

(١) سبق تخريجه .

كباراً ، كما عاتب بعضهم ولده على العقوق ، فقال : يا أبت إنك عققتنى صغيراً ، فعققتك كبيراً ، وأضعتنى وليداً ، فأضعتك شيخاً أ . هـ .

إن الناس بصفة عامة – وأبناء الصحوة الإسلامية بصفة خاصة – يجب عليهم أن يتعلموا أصول التربية الإسلامية ، فنحن نواجه تحديات عظيمة وإشكاليات كبيرة ، ومن بينها الإشكالية المعاصرة فى تربية الطفل مما يوضح لنا لماذا قال البعض : أنتم تخافون المعاصى وأنا أخاف أن أسلب الإيمان ، وقال الثانى : لا تعجب ممن عصى ولكن العجب ممن أطاع ، وقال الثالث :أنتم تنتظرون المطر وأنا أنتظر حلول العذاب .

لقد عاد الأمر غريباً كما بدأ غريباً ، وكثرت المخالفات هنا وهناك ، ولذلك كان لابد من تخوف يدفع للعمل وللأخذ بالأسباب ، مع التوكل على الله في جلب النفع ودفع الضر وعدم اليأس من روح الله فعدم الأخذ بالأسباب قدح فى التوحيد وخالق الأسباب قادر على تعطيلها ، فمن وجد خيراً فليحمد الله ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه ، قال تعالى : ﴿ وَمَا أَصَابَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ (٣٠) ﴾ [الشورى : ٣٠] .

فأعظموا الرغبة فيما عند ربكم ، واشكروه على نعمه يزدكم ، واتقوا الله حق التقوى واستمسكوا من الإسلام بالعروة الوثقى ، واحذروا المعاصى فإن أجسامكم على النار لا تقوى ، واعلموا أنكم غداً بين يدى الله موقوفون ، وعلى تفريطكم نادمون وبأعمالكم مجزيون وسيعلم الذى ظلموا أى منقلب ينقلبون ، فاللهم أحسن عاقبتنا فى الأمور كلها ، وأجرنا من خزى الدنيا وعذاب الآخرة .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

كتبه

سعيد عبد العظيم

الفهرس

رقم الصفحة

